

**STUDY ON SELECTED
AUTHORS**

**BA ARABIC
VI SEMESTER**

(Additional Course in lieu of Project)

2011 Admission onwards



UNIVERSITY OF CALICUT

SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

CALICUT UNIVERSITY.P.O., MALAPPURAM, KERALA, INDIA – 673 635

UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION
Study material

VI SEMESTER
B.A ARABIC

Additional Course in lieu of Project

Study on Selected Authors

Prepared by:

**DR.C.P.ABOOBACKER,
ASSOCIATE PROFESSOR AND HEAD,
DEPARTMENT OF ARABIC
FAROOK COLLEGE, CALICUT**

Type settings & Lay out
Computer Section, SDE

©
Reserved

(700 - 774 هجرة) ابن كثير

IBNU KASEER (700 -774 HIJRA)

هو الشيخ الإمام العلامة أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي المعروف بابن كثير عالم مسلم ومفتي وفقه ومحدث وحافظ ومفسر ومؤرخ وعالم بالرجال ومشارك في اللغة . والده عمر بن كثير خطيب مسجد جامع بمدينة ويعود أصله الى البصرة التي نرح منها إلى الشام.

ولادته ونشأته وتربيته :

ولد ابن كثير في سوريا سنة 700 هجرة، وكان مولده بقرية "مجدل" من أعمال بصرى ، كان للبيئة المحيطة بابن كثير أثر كبير في نشأته؛ فقد كان أبوه خطيباً ببلدة مجيدل القرية إلى أن توفي سنة 703هـ، وبقي ابن كثير تحت رعاية أخيه كمال الدين عبد الوهاب، الشقيق والشقيق، وترعرع في طفولته في هذه القرية مدة أربع سنوات، وهي سن الطفولة يتيمًا بعد فقد الوالد ولكنه امتلاً قلبه من ذكريات الطفولة، ونعم بآثار والده المعنوية، وحفظ أحاديث الناس عن خطب والده، وأقواله المأثورة، وأشعاره المحفوظة، وأدرك بحسّه منزلة العالم المخلص، وأثره في الحياة والمجتمع، ومكانته في القلوب والنفوس، وسمع من إخوته وأخواته سبب تسميته بإسماعيل، تيمناً بأخيه الأكبر (من أبيه) الذي سلك طريق العلم، فأخذه عن والده .

رحلته لطلب العلم

ثم ارتحل ابن كثير إلى دمشق لاستكمال التكوين العلمي، فاخطفته يد المنون في شبابه، فولد للوالد هذا الابن الأخير فسمّاه إسماعيل ليكون كأخيه في طلب العلم، أن والده كان حريصاً على تربية أولاده تربية دينية صحيحة ، وأن يتوجهوا لدراسة العلوم الشرعية ، ولذلك كان الأخ الأكبر لابن كثير ، وهو عبد الوهاب فقيه، وتولى رعاية أخيه إسماعيل فرباه بعد وفاة أبيه، وهو ابن ثلاث سنين، فاتجه ابن كثير رحمه الله تعالى إلى تحصيل العلم منذ السن المبكر؛ ليقرّ عين والده في قبره، وليصبح كأبيه في قلوب الناس.

ولما بلغ ابن كثير السابعة من عمره، ارتحل بصحبة أخيه الشقيق عبد الوهاب إلى مدينة دمشق التي كانت مَوْئِلَ العلماء، وحاضرة العلم، ومركز الحضارة، وينبوع العطاء، ومحط الأنظار، ومرابع المعرفة التي يفد إليها العلماء والطلاب من كل

حذب وصوب. وكان أخوه عبد الوهاب بمنزلة الأب، والأستاذ الأول لابن كثير الذي أخذ منه الشيء الكبير، واستمر في ملازمته والإستفادة من علمه طوال حياته التي امتدت إلى سنة 750 هجرة. وخلال أيامه في دمشق إلى طلب العلم، وتحصيل المعارف، والتقي مع علمائها ومشايخه، إلى أن صحب وانصرف ابن كثير محدث الديار الشامية في عصره، مثلاً أبوالحجاج جمال الدين يوسف وأخذ عنه العلم الكثير ثم تزوج ابنته وسمع عليه أكثر تصانيفه، وقرأ على شيخ الإسلام ابن تيمية كثيراً ولازمه واحبه وانتفع بعلمه، وإبراهيم الفزازي الشهير بابن الفركاح. واستقر ابن كثير في دمشق وصار ابناً من أبنائها وعالماً من علمائها وخطيباً ومدرسا فيها وأحبها منقلبه فلم يفارقها حتى مات ودفن فيها وكان وفيها لها فكتب تاريخها، ووصف أفراسها وانتصاراتها وبكى أحزانها وأتراها وشارك في أحداثها وكان له دور فاعل في ذلك حتى صار محدثاً ومفسراً ومدرسا ورئيساً ومصالحاً وداعية ومعلماً ومؤرخاً.

شخصيته وعبقريته :

لقد حبا الله عزوجل ابن كثير - رحمه الله - بكثير من الصفات الحميدة، والشمائل الكريمة، والخلال العذبة، والتي لا يتصف بها إلا العلماء الأخيار الأفاضل؛ ومن هذه الصفات:

الحفظ: وهب الله تعالى ابن كثير حافظة قوية، وذاكرة ممتازة، وموهبة متفوقة، فكان قادراً على حفظ العلوم والمتون، واكتناز المعلومات، وظهر أثر ذلك في مصنفاته؛ فقد حفظ ابن كثير القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره، كما صرح بذلك في تاريخه، وحفظ التنبيه في الفقه الشافعي، وعرضه سنة ثمانى عشرة، وحفظ مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، وحفظ المتون المتنوعة في العلوم؛ ولذلك وصفه عدد من العلماء بحفظ المتون، فقال شيخه الذهبي: "ويحفظ جملة سالحة من المتون والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة. وقال عنه تلميذه ابن ججي: "كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك.

الاستحضار: اقترنت صفة الحفظ عند ابن كثير بصفة أخرى وهي صفة الاستحضار؛ مما يدل على المنحة الإلهية له بقوة الذاكرة، وقلة النسيان. وهو من أعظم المواهب الإلهية، وأكبر ميزة للعالم والمصنّف والفقهاء؛ لذلك كان ابن كثير يستحضر المتون والكتب والعلوم حتى لفت نظر المحققين والمحدثين، فهو ينقل من مصادر عدة، ولكنه يضع

المعلومات بصيغته وأسلوبه الخاص به، مما يرجح أنه كان يكتب ويصنف من ذاكرته وحافظته، ويتصرف بذلك حسب مقتضى الحال والمقام.

الفهم الجيد: هذه الصفة من المنح الإلهية للإنسان، ومن التوفيق الرباني له، وتتأثر بالعوامل المكتسبة عن طريق الإخلاص، والتقصي والدراسة، والاستيعاب والاجتهاد، وتحري الدقة العلمية؛ مما تساعد صاحبها - بفضل الله تعالى وتوفيقه - على الفهم الجيد، والإدراك الصحيح، والاستنتاج المقبول، لذلك يقول عنه تلميذه ابن حجي: "وكان فقيهاً جيد الفهم، صحيح الذهن.

خفة الروح: وهذه الصفة من الصفات الحسنة للإنسان عامّة، ومن عوامل التفوق والنجاح في التدريس والوعظ خاصّة، وتدل على سماحة النفس، والاهتمام بالطلاب، والتخفيف عنهم، والترويح في التدريس.

الالتزام بالحديث والسنة: من صفات ابن كثير أنه كان حريصاً على التزام السنة، والدعوة إلى اتباع السلف، وهو ما يظهر عند مراجعة مؤلفاته وكتبه؛ ولا غرابة في ذلك فهو المحدث الفقيه الحافظ لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان ابن كثير رحمه الله يحارب البدع، ويدعو إلى تركها، ويساهم في إنكارها، ويفرح لإبطالها، ويسجل هذه المشاعر والعواطف والمبادئ في كتبه ومصنفاته، وكان يتتبع البدع ويتألم لوجودها، ويسعى لإبطالها، ويهمل لإلغائها.

الخلق والفضيلة والموضوعية: كانت أخلاق ابن كثير رحمه الله حميدة، ويلتزم الفضائل والقيم، وسعة الصدر، والحلم، والصدقة المخلصة، والتقدير لشيوخته؛ فقد ترجم لعدد كبير منهم في تاريخه، وأثنى عليهم خيراً، وعدّد مناقبهم، وأثبت فضائلهم، واعترف بالأخذ عن الأساتذة، وحسن الصحبة للزملاء والمعاصرين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا من المبادئ الإسلامية الرشيدة في الدعوة والنصح والإرشاد، والتكافل والتناصح بين أفراد الأمة والمجتمع، وهو واجب عيني على كل مسلم قادر ومستطيع أن يقوم به ، لحديث رسول الله (ص) "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ". ويتأكد واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الدعاة والعلماء والمصلحين، ثم على الحكام والمحكومين؛ وكان ابن كثير يعرف واجبه في هذا الجانب الخطير، ويؤدّي حقه في مرضاة الله تعالى للحاكم والمحكومين، لا يبتغي بذلك إلا الأجر والثواب من الله تعالى، ولا يخشى في الله لومة لائم؛ فيقول الحق، ويقرر الشرع، ويؤدي الأمانة، ويبليغ حكم الله تعالى في كل الأمور والظروف والأحوال، ولو كان الأمر يتعلق

بشئون الحكم، والخلاف بين الأمراء الذين يحاولون أن يتحصنوا بفتوى كبار العلماء، ويجعلوها ذريعة لتحقيق مآربهم.

إنصاف الخصوم: يقول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (النساء: 58). والعدل مطلوب من الحكام والقضاة، ومن كل ذي ولاية وسلطة مهما تنوعت واختلفت وتفاوتت درجاتها، وذلك بإنصاف الناس - وحتى الخصوم - من النفس، وحينئذٍ يصبح الإنسان من السابقين إلى ظلِّ الله تعالى يوم القيامة.

والعدل من الفضائل، وخاصة إذا كان الأمر مع الخصم، فهو أعلى درجات العدل بأن ينصف الإنسان خصمه من نفسه، وهذه المرتبة العليا لا يبلغها إلا القلة، وتدل على أن صاحبها بلغ رتبة عالية من تطبيق أحكام الشرع وآدابه، ومراقبة الله تعالى في ذلك، حتى يجاهد نفسه فيخضعها للحق، ويقف بها عند جادة الصواب، ولا يستسلم لهواه وأهوائه.

وهذا ما حدث مع ابن كثير - رحمه الله - في ترجمته لكثير من خصومه في الرأي والفكر والمواقف، فيصفهم بالحق والعدل، ولا يتجنى عليهم، ولا ينقصهم صفة لهم؛ ومن الشواهد الكثيرة على ذلك نجد في كتابه البداية والنهاية أنه كان بين ابن كثير وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي خصومة فكرية، وتشاء الظروف أن ثوَّجَّه اتهامات إلى قاضي القضاة بالتفريط في أموال الأيتام، وطُلب من المفتين أن يضعوا خطوطهم بتثبيت الدعوى ضده لتعزيمه ومحاكمته، ويصل الأمر إلى صاحبنا العلامة ابن كثير ذي الخُلق الكريم، والموقف العادل، فيأبى الكتابة، ويُنصف قاضي القضاة، ويوقف الافتراء والاتهام إلى أن يتبين الحق، ويسجِّل ذلك في تاريخه في أحداث سنة 743هـ.

الإصلاح الديني: نزل الإسلام صافيًا من السماء، وبلغه رسوله عليه الصلاة والسلام حتى لحق بالرفيق الأعلى، وقد ترك أُمَّته على المحجة البيضاء، والتزم الصحابة - رضوان الله عليهم - بهذا الطريق القويم، وأدوا الأمانة، ونشروا الإسلام في الخافقين، وسار التابعون وتابعو التابعين على نهجهم، فكانوا خير القرون في تطبيق الإسلام، ونصاعة مبادئه. ثم بدأ يعلق به الغبار مع الأيام، وتُضاف إليه بعض الأمور التي لا تتفق مع جوهر الدين، وتُلحق به البدع والخرافات شينًا فشيئًا، وقد تستشري في بعض الأحيان لتشوه صورة الإسلام النقية.

وهنا يأتي دور العلماء والدعاة والمصلحين الذين ينادون بالدعوة إلى تطبيق الإسلام، والعودة إلى مبادئه الصافية، وتطهيره من البدع والخرافات. وقد ظهر في القرن السابع والثامن الهجريين علماء أفاضل يمثلون هذا الاتجاه الإصلاحية، وكان الأشهر والأبرز

في هذه المدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي وقف في وجه البدع والخرافات الموجودة والمنتشرة في ذلك الوقت، ورفع الراية في وجه المبتدعة وغلاة الصوفية.

وكان من نتيجة ذلك أن انقسم العلماء والفقهاء والحكام والناس في شأن ابن تيمية إلى فريقين، فتحامل عليه علماء الصوفية، وكثير من الفقهاء والقضاة حتى وشوا به عند الحكام، فوقف بعضهم بجانبه، والبعض الآخر وقف ضده، وكان من الذين وقفوا مع ابن تيمية وناصروه ابن كثير رحمه الله.

اساتذة ابن كثير :

نال ابن كثير من الفقهاء والعلماء عصره وكان استاذه الأول هو أخوه الأكبر عبد الوهاب بن عمر بن كثير كمال الدين ، وعيسى المطعم، وأحمد بن الشيخة، والقاسم بن عساكر، ومحمد بن محمد بن محمد الشيرازي، وإسحاق بن يحيى الأمدي، ومحمد بن أحمد الزراد، وابن قاضي شهبة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وشمس الدين الأصفهاني، وغيرهم

تلامذة الإمام ابن كثير:

من أشهر تلاميذ ابن كثير: سعد الدين النووي، وشهاب الدين بن حجي، وابن الجزري ، والزركشي ، وغيرهم

نشاطه وأعماله :

كان وقت ابن كثير رحمه الله - مشغول، وأعماله كثيرة، ولكنه كان عازفا عن المناصب الرسمية، أو الاشتغال في الأعمال الحكومية، ومتفرغا للبحث العلمي، وكان ذلك ديدنه في شبابه ونشأته، وفي مراحل تكوينه، ولما استوي على سوقه، وبلغ من العلم شأوا كبيرا، وحصل المستوي اللائق فيه، بقي ملازما للعلماء، ومستفيدا منهم، كشيخه المزي الذي بقي مصاحبا له حتي وفاته، ومثل شيخه ابن تيمية، والحافظ الذهبي، وابن القيم، وغيرهم، وعكف على العلم والتعلم والتعليم، وحصر نفسه في المجال العلمي. لذلك نرى ابن كثير يتولي الأعمال التالية:

الإقراء :حفظ ابن كثير القرآن الكريم في صغره، وختمه وهو في السنة الحادية عشرة من عمره، وأتقن القراءة، وصار من القراء، ويظهر أثر ذلك علميا في كتابه "التفسير" وفيما كتبه في "فضائل القرآن" ولذلك عده الداوودي من القراء، وترجم لخره في طبقاتهم التي ألفه، ولكن ابن الجزري لم يترجم لابن كثير في طبقات القراء، ثم تولى ابن كثير عمليا مشيخة القراء بمدرسة أم الصالح.

التحديث : هذا جزء من عمل التدريس، ولكن يختص به بعض العلماء المعروفين بالحفظ والرواية، وممارسة التحديث، ويندر من يقوم بهذا العمل إلا الخواص المتخصصون به. وكان ابن كثير - رحمه الله - حافظاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان محدثاً، لأنه سمع عدداً كثيراً من المحدثين وأئمة الحفظ في عصره في الشام ومصر، وأخذ الحديث سماعي وإجازة، ثم مارسه، ووصف بأنه " الحافظ المحدث".

التدريس :تولي ابن كثير التدريس، وهو العمل الأساسي له الذي أعطاه اهتمامه، واتصل به مع الناس، ونفع الله به التلاميذ والطلاب، وحقق الخير علي يديه. قال ابن تغري بردي عنه " وجمع وصنف ودرس "، وقد ولي ابن كثير - رحمه الله - التدريس في المدرسة النجيبية المخصصة للشافعية بدمشق، وبدأ التدريس يوم الخميس 11 جمادي الأولى سنة 736هـ، والغالب أنه بقي يسكنها ويدرس فيها إلي آخر عمره، مع أعماله الأخرى.

الفتوي :وهي الإخبار بالحكم الشرعي، والفتوي أهم واجبات الفقيه، وهي منزلق خطير للخطأ والضلال من جهة ؛ ولذلك ورد فلي الحديث الشريف " أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار " أي أن أكثركم جرأة وتسرعاً في الفتيا فهو الأسرع إلي النار ؛ لأنه لا يقدر عاقبة عدم إصابته للحق، بسرعته وعدم تروييه، أو عندما تكون الفتوي لغير وجه الله تعالى، أو لبيان الباطل وتحريف الدين، أو مسايرة الناس والعوام والحكام والرؤساء، أو بسبب الجهل بأحكام الدين.

وكان ابن كثير - رحمه الله - قد حصل الفقه الإسلامي من المذهب الشافعي على شيخه برهان الدين الفزاريوغيره، وأتقن معرفة الأحكام، وصنف فيه، وكان يمارس الفتوي بالحق والعدل، والصدق والأمانة، والإخلاص، حتي تركت فتاويه اصداء كثيرة، وأطلق عليه شيخه الذهبي " الفقيه المفتي "، وقال عنه ابن حبيب " وأطرب الأسماع بالفتوي، وقال الدكتورو الندويس " كان ابن كثير من المفتين الكبار في عصره." وهذا يدل على تمكن ابن كثير - رحمه الله بالفقه ومعرفة الأحكام الشرعية، وإخلاصه في علمه وعمله، وثقة الناس به، وأخذ الطلاب عنه الفقه والإذن بالفتوي، وتوجيه القضاة والحكام الفتوي له في القضايا المهمة والخطيرة.

التأليف والتصنيف :يظهر أن ابن كثير - رحمه الله - لم تشغله الأعمال السابقة عن هوايته الأولى في التأليف والتصنيف، فكان حريصاً على ذلك، ومتفرغاً في معظم الوقت للتصنيف، بعد أن ملك ناصيته، وحصل العلوم المختلفة، وتخصص في الحديث والتفسير والتاريخ والفقه، وبلغ شأواً كبيراً في النحو والأدب وعلوم العربية.

وكان ابن كثير رحمه الله قد توفرت فيه مؤهلات التأليف والتصنيف بدرجة عالية، فأنس به، وبذل فيه الجهد الكبير، وأعطاه ثمين الوقت، وأكب على التدقيق والتمحيص، وقدم للبشرية إنتاجاً غزيراً، وكتبا نافعة مفيدة، أصبحت مرجعاً لطلاب العلم والمعرفة في عصره، واستمرت طوال القرون السبعة التي مضت، ولا تزال المصدر الرئيس في تخصصاتها إلي اليوم والمستقبل. قال عنه ابن حجر "وسارت تصانيفه في البلاد، وانتفع بها الناس بعد وفاته." وقال الشوكاني "وقد انتفع الناس بمصنفاته، ولا سيما التفسير" وقال الزركلي "تناقل الناس تصانيفه في حياته."

ومما يؤكد ذلك أن كتب ابن كثير قد صارت في الأقطار الإسلامية ما ذكره ابن كثير في حوادث سنة 763هـ أن شاباً أعجمياً حضر من بلاد "تبريز وخراسان" ويزعم أنه يحفظ البخاري ومسلماً وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري، فهذا كتابه جامع المسانيد قد طار إلي أقصى المشرق في بلاد تبريز وخراسان، وأن الشباب هناك يحفظونه، أو يحفظون شيئاً منه.

المكانة العلمية والاجتماعية: تبوأ ابن كثير - رحمه الله - مكان الصدارة اجتماعياً وعلمياً، وذلك لعلمه وفضله ومواقفه وآرائه، وعدله واعتداله في النظر إلي الأمور، والحكم عليه، ولذلك كان يدعي مع عليّة القوم للأمور الهامة، والقضايا الخطيرة، ليشارك في المشاورة، ويبيدي رايه في الخلافات الجسيمة، كما كان يشارك في امتحان الطلبة في التخصصات العالية، لما له من مكانة علمية، واحترام شعبي واجتماعي ورسمي.

وكان ابن كثير يحضر مجالس كبار العلماء في عصره، مما يدل على مكانته العلمية والاجتماعية، فيقول عن حوادث سنة 766هـ تحت عنوان "عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي": ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب من رمي به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة السبكي، وكنت ممن طلب إليه، فحضرته فيمن حضر.... واستمر النظر في القضية، واستمر إلي الشهر التالي، وحضره ابن كثير، وفيه تفاصيل انتهت بالصلح.

مؤلفات ابن كثير:

له مؤلفات كثيرة منها : تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وكتاب التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل جمع فيه كتابي شيخيه المرّي والذهبي وهما: "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" و"ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، مع زيادات مفيدة في الجرح والتعديل. وتخريج أحاديث أدلة التنبيه في فروع الشافعية، وتخريج أحاديث مختصر

ابن الحاجب في أصول الفقه، فضائل القرآن، وكتاب في السماع، ومسند الشيخين، والنهاية في الفتن والملاحم، والمقدمات، ومسند عمر بن الخطاب والآثار المروية عنه.

منهج ابن كثير في تفسيره:

تفسير الآية بعبارة سهلة، وبأسلوب مختصر، يوضح المعنى العام للآية الكريمة، وتفسير الآية بآية أخرى إن وجدت؛ حتى يتبين المعنى، ويظهر المراد، وقد يذكر ابن كثير عدة آيات في تفسير الآية الأولى، وكأنه يجمع بين الآيات المتشابهة والمتماثلة في المعنى، والمتحدة في الموضوع، فتأتي الآيات المتناسبة في مكان واحد. ورواية الأحاديث بأسانيدھا غالباً، وبغير إسناد أحياناً لإلقاء الضوء النبوي على معنى الآية؛ لأن وظيفة الرسول (ص) التبليغ والبيان.

وتفسير القرآن بأقوال الصحابة؛ حيث يُردف ابن كثير في تفسير الآية ما وصله من أقوال الصحابة في تفسير هذه الآية، حسب المؤهلات التي يمتلكونها. والاستئناس بأقوال التابعين وتابعي التابعين ومن يليهم من علماء السلف، وخاصة أهل القرون الأولى الذين شهد لهم النبي (ص) بالخيرية، وحملوا الدعوة والإسلام. و الإسرائيليات: نتج عن روايات بعض الصحابة وبعض التابعين وجود الأحاديث والروايات المأخوذة من مصادر أهل الكتاب، والتي تُسمى الإسرائيليات، ومعظمها غير صحيح وغير معقول، وأكثرها غرائب وطرائف. وقد نوّه ابن كثير على وجود هذه الإسرائيليات في مقدمة تفسيره، فقال: "تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد". وكان ابن كثير ينبّه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، تارةً يذكرها ويعقب عليها بأنها دخيلة على الرواية الإسلامية، ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارةً لا يذكرها بل يشير إليها، ويبين رأيه فيها. وقد تأثر في هذا بشيخه ابن تيمية، وزاد على ما ذكره كثيراً، وكل من جاء بعد ابن كثير من المفسرين ممن تنبه إلى الإسرائيليات والموضوعات، وحذر منها. ولا عجب في هذا، فهو من مدرسة عُرفت بحفظ الحديث، والعلم به روايةً ودرايةً، وأصالة النقد، والجمع بين المعقول والمنقول، وهي مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، وأمثالهم.

الأحكام الفقهية: يتعرض ابن كثير عند تفسير آيات الأحكام إلى بيان الأحكام الشرعية، ويستطرد في ذكر أقوال العلماء وأدلتهم، ويخوض في المذاهب ويعرض أدلتهم. والشواهد اللغوية والشعرية: اعتمد ابن كثير على اللغة العربية في فهم كلام الله تعالى الذي نزل باللغة العربية، ويجب أن يفسر حسب مقتضى الألفاظ، وأساليب اللغة، ودلالات الألفاظ، وشواهد الشعر التي تدل على المعنى، وتوضح المراد. والأعلام والرجال: حرص ابن

كثير على ذكر الأعلام الذين نقلت عنهم الآراء؛ ليكون دقيقًا في نقله، مع المحافظة على الأمانة العلمية، فجاء تفسيره زاخرًا بأسماء العلماء وأعلام الرجال. قوة الشخصية: عرض ابن كثير لأحاديث متعددة، وروايات كثيرة، وأقوال مختلفة، ولكنه لم يقف عند هذا الحد، بل كانت شخصيته العلمية واضحة وبارزة، فكان يبين درجة الأحاديث، ويثبت صحة أكثرها، ويضعف بعض الروايات، ويعدل بعض الرواة، ويجرح بعضًا آخر؛ وكل ذلك لباعه الطويل في فنون الحديث وأحوال الرجال. وسار على هذا النهج في إيراد الأحكام الفقهية، وآراء المذاهب، فيعمد إلى بيان الراجح منها، والموافق لدلالات الآيات الكريمة. الاقتباس: كان ابن كثير رحمه الله يعتمد على من سبقه من المفسرين، وينقل عنهم، ويصرح بذلك؛ ومنهم إمام المفسرين ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن عطية، وأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية.

آراء العلماء في الإمام ابن كثير:

قال عنه الذهبي: "الإمام الفقيه المحدث البارِع عماد الدين، درس الفقه وأفتى، وتفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة سالحة من المتون والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة". وقال الذهبي في المختص: "الإمام المفتي، المحدث البارِع، ثقة، متفنن، محدث متقن" وقال عنه السيوطي: "الإمام المحدث الحافظ، ذو الفضائل، عماد الدين.

وقال عنه المؤرخ الشهير ابن تغري بردي: "الشيخ الإمام عماد الدين أبو الفداء...، وجمع وصنّف، ودرّس وحدّث وألف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك.

وقال ابن حبيب فيه: "إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنّف، وأطرب الأسماع بقوله وشنّف، وحدّث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. وقال عنه الزركلي: "حافظ مؤرخ فقيه.

آراء العلماء في مؤلفات ابن كثير:

قال السيوطي عن تفسير ابن كثير: "وله التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله" وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة: "وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته". وقال الذهبي في المعجم المختص: "وله تصانيف مفيدة. وقال ابن تغري بردي عن كتابه البداية والنهاية: "وهو في غاية الجودة... وعليه يعول البدر العيني في تاريخه."

وفاة الإمام ابن كثير:

اتفق المؤرخون على أن ابن كثير -رحمه الله- تُوفي بدمشق يوم الخميس، السادس والعشرين من شعبان سنة 774هـ / 1373م عن أربع وسبعين سنة، وكانت جنازته حافلة ومشهودة، ودُفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحبهته له، وتأثره به؛ لينعم بجواره حيًا وميتًا. وقد رثاه أحد طلاب العلم فقال:

لقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبديد غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدمما لكان قليلاً فيك يا ابن كثير
رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عن الإسلام والقرآن خير الجزاء.

(194- 256 هجرة)

IMAM BUKHARI (AD 809 - 870)

هو الإمام الجليل والمحدث العظيم محمد بن إسماعيل البخاري أمير أهل الحديث وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، يقول البخاري: صنفت الصحيح في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى. ولم يشهد تاريخ الإسلام مثله في قوة الحفظ ودقة الرواية والصبر على البحث مع قلة الإمكانيات، حتى أصبح منارة في الحديث وفاق تلامذته وشيوخه على السواء. ويقول عنه أحد العلماء: لا أعلم أي رأيت مثله كأنه لم يخلق إلا للحديث.

ونشأته

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري وكلمة بردزبه تعني بلغة بخارى "الزراع"، أسلم جده "المغيرة" على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، ولد بمدينة بخارى إحدى مدن ما وراء النهر من بلاد فارس، كانت ولادته سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة 194 في يوم الجمعة الرابع من شهر شوال. ويروى أن محمد بن إسماعيل عمي في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو كثرة دعائك شك البلخي فأصبحت وقد رد الله عليه بصره.

وكان والده أبو الحسن اسماعيل بن ابراهيم ورعا تقيا ومحدثا فاضلا ، ولم يلبث الوالد قرّة العين بولده إلى أن عاجلته المنية فترك طفلا صغيرا في حجر أمه ، فكفلته أمه وقامت بتربيته ورعايته وعقدت عليه أسمى الآمال ، ثم وجهته الى التعليم لينسج على منوال أبيه العالم المحدث، وظهرت عليه في طفولته علامات النبوغ والنجابة ، وهبه الله سبحانه وتعالى ذاكرة قوية تفوق بها على أقرانه.

وما أن بلغ البخاري العاشرة من عمره الا والهمه الله حفظ الحديث في هذا السن المبكرة مما يدل على ما اعطاه الله له من قدرة فائقة في الحفظ وقريحة وقادة فيه . والشاهد على ذلك ما رواه حاشد بن إسماعيل أن الإمام كان يذهب إلى المشايخ مع رفقائه وهو غلام ، فكان يكتفي بسماع الأحاديث دون أن يدونها كما يفعل زملاؤه ، حتى أتى على ذلك أيام فكانوا يقولون له : " إنك تتردد معنا إلى المشايخ ولا تكتب ما تسمعه فما الذي تفعله ؟ " وأكثروا عليه حتى ضاق بهم ذرعا ، وقال لهم مرة بعد ستة عشر يوما : "إنكم قد أكثرتم على فأخرجوا إليه ما كان عندهم ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها " وألحتم فأخرجوا إلي ما كتبتموه عن ظهر قلب حتى جعلوا يصححون ما كتبوه من حفظه ، فعرّفوا أنه لا يتقدمه أحد.

عبقريته

تميز البخاري بمواهب عظيمة وظهر نبوغه منذ صغره منحه الله إياها فكان لديه الإستعداد الفطري الذي فطره الله عليه حافظة قوية عقلية صافية ذاكرة قوية حتى قال عنه " هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض " ، وآتاه الله حفظا وسعة علم حتى روي . قال عنه الحافظ : لو أردت ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة " وذلك في إحدى المجالس، ومما يدل على كثرة محفوظاته قوله : أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح " قال عنه ابو بكر الكلوازي : ما رأيت مثل محمد بن اسماعيل ، كان يأخذ الكتاب من العلماء ، فيطلع عليه اطلاعه ، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمرّة .

ووهب الله للبخاري منذ طفولته قوة في الذكاء والحفظ من خلال ذاكرة قوية تحدى بها أقوى الاختبارات التي تعرض لها في عدة مواقف. ولما بلغ البخاري ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع. فقيل للبخاري ابن كم كنت حين رددت عليه قال ابن إحدى عشرة سنة. وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع فقال لنا يوما بعد ستة

عشر يوماً إنكما قد أكثرتما على وألحمتما فاعرضا على ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال أترون أنني أختلف هدرا وأضيع أيامي فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

دراسته ورحلاته العلمية

رحل البخاري بين عدة بلدان طلباً للحديث الشريف ولينهال من كبار علماء وشيوخ عصره في بخارى وغيرها. وروى عن البخاري أنه كان يقول قبل موته: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلا صاحب حديث كانوا يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

ابتدأ البخاري رحلته في طلب العلم ونبداها من مسقط رأسه بخارى فقد سمع بها من الجعفي المسندي ومحمد بن سلام البيكندي وجماعة ليسوا من كبار شيوخه ثم رحل إلى "بلخ" وسمع هناك من مكين بن إبراهيم وهو من كبار شيوخه وسمع بمرو من عبدان بن عثمان وعلي بن الحسن بن شقيق وصدقة بن الفضل. وسمع بنيسابور من يحيى بن يحيى وجماعة من العلماء وبالري من إبراهيم بن موسى.

وفي أواخر سنة 210 هـ قدم البخاري العراق وتنتقل بين مدنها ليسمع من شيوخها وعلمائها. وقال البخاري دخلت بغداد آخر ثمان مرات في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لي في آخر ما ودعته يا أبا عبد الله تدع العلم والناس وتصير إلى خراسان قال فأنا الآن أذكر قوله. ثم رحل إلى مكة المكرمة ليؤدي فريضة الحج مع أمه وأقام فيها يطلب العلم وأخذ من العلماء وسمع هناك من أبي عبد الرحمن المقرئ وخلاد بن يحيى وحسان بن حسان البصري وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقى والحميدي. وسمع بالمدينة من عبد العزيز الأويسي وأيوب بن سليمان بن بلال وإسماعيل بن أبي أويس. وفي إقامة رحاب المسجد النبوي بدأ البخاري تأليف الكتب ، وصنف "قضايا الصحابة والتابعين " ثم "التاريخ الكبير".

مكث البخاري بالمدينة سنة ثم رحل بعدها إلى بصرة وأقام بها خمس سنوات وكان يزور مكة في موسم الحج ، وطاف البخاري في طلب العلم والحديث إلى أنحاء العالم ، مثل مكة ومدينة وبخارى وبغداد وبصرة وكوفة وبلخ ونيسابور ومرو وخراسان وعسقلان وحمص وغير ذلك . وأكمل رحلته في العالم الإسلامي آنذاك فذهب إلى مصر ثم ذهب إلى الشام وسمع من أبي اليمان وأدم بن أبي إياس وعلي بن عياش وبشر بن شعيب وقد سمع من أبي المغيرة عبد القدوس وأحمد بن خالد الوهبي ومحمد بن يوسف الفريابي وأبي مسهر وآخرين.

صفاته :

كان البخاري نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير ويميل لونه الى السمرة ، وقد جمع مع علمه كثيرا من محامد الفعال وكريم الخصال وعرف بالتقوى وشدة الورع ومكارم الأخلاق ، كان حريصا على الفاظه عند الجرح والتعديل للرواة ، ومما أثر عنه قوله : أرجو أن ألقى الله ويحاسبني أني اغتبت أحدا " كما اشتهر بالزهد والكرم والعطاء والصدقة ، وكان كثير العبادة والتجهد بالليل وقراءة القرآن زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة . وكان الحسين بن محمد السمرقندي يقول : كان البخاري مخصوصا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة ، كان قليل الكلام ، وكان لا يطمع فيما عند الناس وكان لا يشتغل بأمور الناس ، كل مشغله كان في العلم ، ومن كلامه.

وهب الله سبحانه وتعالى الإمام البخاري عددا من الخصال الحميدة ، والمناقب العظيمة ، حتى شهد له علماء عصره بتفوقه على أقرانه ، ولو كتبنا في مناقب هذا الإمام العظيم المؤلفات ما وقينا حقه ، حتى قال عنه رجاء الحافظ " : هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض " ، من ذلك أن الله قد آتاه حفظاً وسعة علم حتى روي عنه أنه قال : " لو أردت ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة " وذلك في إحدى المجالس ، ومما يدل على كثرة محفوظاته قوله : " أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح

تهيات أسباب كثيرة لأن يكثر البخاري من التأليف فقد منحه الله ذكاء حادا ذاكرة قوية وصبرا على العلم ومثابرة في تحصيله ، ومعرفة واسعة بالحديث النبوي وأحوال رجاله من عدل وتجريح وخبرة تامة بالأسانيد صحيحها وفاسدها ، أضف إلى ذلك أنه بدأ التأليف مبكرا وهو لا يزال يافع السن في الثامنة عشرة من عمره وقد صنف البخاري ما يزيد عن عشرين مصنفا منها " الجامع الصحيح " وهو أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد ، و"الأدب المفرد " الذي تناول فيها جملة من الآداب والأخلاق ، و"التاريخ الكبير والأوسط والصغير " و"كتاب الضعفاء " وكتاب الفوائد وكتاب التفسير الكبير ، وفي العقيدة ألف رسالة اسمها "خلق افعال العباد الرجال وغيرها.

كتابه الجامع الصحيح

هو أشهر كتب الحديث النبوي ، انه اصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، وبه اصبح البخاري امير المؤمنين في الحديث ، وصنفه بالعناية التامة والدقة الكاملة ، ومكث في

تصنيفه ستة عشر عاما وانتخب الأحاديث الصحيحة من ستمائة الف حديث وجمع فيه ما تفرق من أحاديث الرسول في الأمصار المختلفة، حقق وحدتها وبحث أصولها ورواتها ، فقد أجمع العلماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه ، كان البخاري لا يضع حديثا في كتابه الا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين ، وابتدأ البخاري تأليف كتابه في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وبوب البخاري الأحاديث في ابواب حسب الفوائد الفقهية وغيرها كما استنبطها من المتون ومعانيها ، ولم يدون في كتابه إلا ما صح سنده واتصل بنقل العدول وخلا من الشذوذ والعلة . وشرط البخاري ان يدون في كتابه الأحاديث الصحيحة فقط ، وقد صرح البخاري بذلك بقوله : وما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح حتى لا يطول الكتاب " .

عد العلماء كتاب الجامع الصحيح المعروف بـ"صحيح البخاري" أصح كتاب بعد كتاب الله، ويقول عنه علماء الحديث "هو أعلى الكتب الستة سندا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شيء كثير من الأحاديث وذلك لأن أبا عبد الله أسن الجماعة وأقدمهم لقباً للكبار أخذ عن جماعة يروي الأئمة الخمسة عنهم" . ويقول في قصة تأليفه "الجامع الصحيح": "كنت عند إسحاق بن راهويه فقال بعض أصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب"

ويقول في بعض الروايات: أخرجت هذا الكتاب من زهاء ست مائة ألف حديث. ويروي البخاري أنه بدأ التأليف وعمره 18 سنة فيقول: "في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله في الليالي المقمرة وقل اسم في التاريخ إلا وله قصة إلا أنني كرهت تطويل الكتاب، وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم فقلت: اثنين وأردت بذلك حديثين فضحك من حضر المجلس فقال شيخ منهم لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوما"

دقته واجتهاده

ظل البخاري ستة عشر عاما يجمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية، وعمل دؤوب، وصبر على البحث وتحري الصواب فلما توافرت لباحث قبله أو بعده حتى اليوم، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها.

وروي عن البخاري أنه قال: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث إن كان الرجل فهما، فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته فأما الآخرون لا يباليون ما يكتبون وكيف يكتبون. وكان العباس الدوري يقول: ما رأيت أحدا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه ثم قال لنا لا تدعوا من كلامه شيئا إلا كتبتموه.

تفوقه على أقرانه في الحديث

ظهر نبوغ البخاري مبكرا فتفوق على أقرانه، وصاروا يتلمذون على يديه، ويحتفون به في البلدان. فقد روي أن أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان شابا لم يخرج وجهه.

وقال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا لإسناد هذا وإسناد هذا لمتن هذا ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس فاجتمع الناس وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته فقال لا أعرفه وسأله عن آخر فقال لا أعرفه وكذلك حتى فرغ من عشرته فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول والبخاري يقول لا أعرفه ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس وهو لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فكذا والثاني كذا والثالث كذا إلى العشرة فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول الكبش النطاح.

ورعه

وكان البخاري كثير الخشوع والتقوى والورع والدقة والزهد ، وقال أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن يعني إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته فقال لا أعلم من مالي درهما من حرام ولا درهما من شبهة قال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك ثم قال أبو عبد الله أصدق ما يكون الرجل عند الموت.

عمله بالتجارة

وعمل البخاري بالتجارة فكان مثالا للتاجر الصدوق الذي لا يغش ولا ينقض نيته مهما كانت المغريات. روي أنه حملت إلى البخاري بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد فاجتمع بعض التجار إليه فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم فقال انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف فقال إني نويت بيعها للذين أتوا البارحة.

ثناء الأئمة عليه

كان البخاري شريف النفس وكثير الصدق وقوة الذاكرة وتبحر في العلم والفقهاء قال أبو إسحاق السمرماري: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل. قال أبو جعفر سمعت يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموته ذهاب العلم. وكان نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. قال مصعب الزهري محمد بن إسماعيل أفته عندنا وأبصر بالحديث. وروي عن إسحاق بن راهويه أنه كان يقول اكتبوا عن هذا الشاب يعني البخاري فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفة بالحديث وفقهه.

وقال محمد بن أبي حاتم سمعت إبراهيم بن خالد المروزي يقول رأيت أبا عمار الحسين بن حريث يثني على أبي عبد الله البخاري ويقول لا أعلم أني رأيت مثله كأنه لم يخلق إلا للحديث. وقال محمد حدثني حاتم بن مالك الوراق قال سمعت علماء مكة يقولون محمد بن إسماعيل إمامنا وفقهنا وفقه خراسان. قال محمد بن حمدون بن رستم سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى البخاري فقال دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في عله. وقال سعيد بن جعفر: سمعت العلماء بالبصرة يقولون ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح.

كان البخاري فضيل النفس فقد بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه حتى يسمع أولاده عليه فأرسل إليه : من في بيته العلم والحلم يؤتى يعني إن كنتم تريدون ذلك فاهلموا إلي وأبى أن يذهب إليهم والسلطان خالد بن أحمد الذهلي نائب الظاهرية ببخارى فبقى في نفس الأمير من ذلك فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلي بأن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق وكان وقد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد فأراد أن يصرف الناس عن السماع من البخاري وقد كان الناس يعظمونه جدا وحين رجع إليهم نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائدا إلى أهله وكان له مجلس يجلس فيه للإملاء بجامعها فلم يقبلوا من الأمير فأمر

عند ذلك بنفيه من تلك البلاد فخرج منها ودعا على خالد بن أحمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن الظاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أتان وزال ملكه وسجن في بغداد حتى مات ولم يبق أحد يساعده على ذلك إلا ابتلي ببلاء شديد فنزح البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين من سمرقند فنزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين ولما جاء في الحديث (وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنا إليك غير مفتونين) ولقي الإمام ربه بعد هذه المحنة

تجول البخاري رحمه الله طول حياته يتردد بين الأمصار يطلب العلوم والأحاديث ، وتعرض له الإمتحان والإبتلاء كما تعرض السابقين من الصالحين ولما اشتدت رجوع الى البخارى ودعا الى الله تعالى " اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت ، فاقبضني إليك " ، فما تم الشهر حتى توفي سنة 256 هجرية وعاش اثنتين وستين سنة رحمه الله رحمة واسعة .

وروي في قصة وفاته عدة روايات منها: قال محمد بن أبي حاتم سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياما فمرض واشتد به المرض، فلما وافى تهيأ للركوب فلبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا أخذ بعضده ورجل أخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها فقال رحمه الله أرسلوني فقد ضعفت فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه الله فسال منه العرق شيء لا يوصف فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك فدام ذلك أياما ثم علت سوارى بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره فجعل الناس يختلفون ويتعجبون وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر حتى ظهر القبر ولم تكن نقدر على حفظ القبر بالحراس وغلبنا على أنفسنا فنصبنا على القبر خشبا مشبكا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب ولم يكونوا يخلصون إلى القبر وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياما كثيرة حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك وظهر عند مخالفه أمره بعد وفاته وخرج بعض مخالفه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب قال محمد بن أبي حاتم ولم يعش أبو منصور غالب بن جبريل بعده إلا القليل وأوصى أن يدفن إلى جنبه.

وقال محمد بن محمد بن مكي الجرجاني سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو

واقف في موضع فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت ما وقوفك يا رسول الله قال أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت فإذا قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

رحم الله الإمام البخاري رحمة واسعة وجزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين وعن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(150 – 204 هجرة)

IMAM SHAFIE (150 - 204 HIJRA)

نشأته وحياته :

هو أحد أئمة الأربعة عند أهل السنة ، ومؤسس علم أصول الفقه، وإمام في علم التفسير وعلم الحديث وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلام ، هو أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي الشافعي ، ينتهي نسبه إلى عبد مناف ، ولد بغزة في فلسطين سنة 150 هجرية / 767 ميلادية . كان أبوه قد هاجر من مكة إلى غزة بفلسطين طلبا للرزق ، ولكن مات بعد ولادته بمدة قصيرة فنشأ محمد يتيما فقيرا ، وكانت أمه يمانية من الأزدي، وانتقلت أمه إلى مكة وهو ابن سنتين ، وكانت أمه تعوله باستعانة أقرباء من القريش فنشأ في بني هذيل وكانت هذيل أفصح العرب، وتعلم منها مبادئ العلوم اللغة والفصاحة والبلاغة، وتأثر بهذه الملازمة شديدا في فصاحته وبلاغة ما يكتب ، وقد لفتت هذه البراعة انصار معاصريه من العلماء بعد ان شب وكبر ، حتى قال الأصمعي وهو من أئمة اللغة المعدودين : صححت اشعار هذيل على فتى من قریش يقال له محمد بن ادريس ، وبلغ من اجتهاده في طلب العلم ان اجازه شيخه مسلم بن خالد الزنجي بالفتيا وهو لا يزال صغير

قرأ القرآن ودرس العربية والشعر ، وأتم حفظ القرآن وهو في عمره سبع سنين، وما كاد يناهز الإدراك حتى أندر في الذكاء والحفظ، وعرف الشافعي بشجو صوته في القراءة، قال ابن نصر : كنا إذا أردنا أن نبكي قال بعضنا لبعض قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي يقرأ القرآن فإذا أتيناها استفتح القرآن حتى يتساقط الناس ويكثر عجبهم بالبكاء من حسن صوته فإذا رأى ذلك أمسك من القراءة ، وكان من أحسن الناس قراءة ويختم القرآن في رمضان ستين مرة، وحفظ الشافعي كتاب الموطأ للإمام مالك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وقال الشافعي عن ذلك : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وقرأت الموطأ وأنا ابن عشر سنين وأقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها، ورحلت مع أمه إلى

المدينة المنورة ولقي الإمام مالك وقرأ عليه الموطأ حفظاً ، فقال مالك : إن يك أحد يفلح فهذا الغلام ، ولازم الشافعي الإمام مالك ست عشرة سنة حتى توفي الإمام مالك ، وحاز من العلم بالكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم ، وفي نفس الوقت تلقى العلوم من إبراهيم بن سعد الأنصاري ومحمد بن سعيد بن فديك .

وبعد وفاة إمام المالك في سنة 179 هجرية سافر الشافعي إلى نجران واليا عليها فقد وشى البعض من أهلها به إلى الخليفة هارون الرشيد فتم استدعائه الى دار الخلافة سنة 184 هجرية وهناك دافع عن موقفه بحجة دامغة وظهر للخليفة براءة الشافعي واطلق سراحه.

أثناء تجوله في بغداد اتصل بمحمد بن الحسن الشيباني تلميذ ابي حنيفة وقرأ كتبه وتعرف على علم اهل الرأي عاد إلى مكة ومكث فيها تسع سنوات تقريبا وأخذ ينشر فكره من خلال حلقات العلم التي يزدحم فيها طلبة العلم في الحرم المكي ومن خلال لقاءه بالعلماء اثناء مواسم الحج . وأخذ الشافعي يدرس المذهب الحنفي ، وبذلك اجتمع له فقه الحجاز المذهب المالكي وفقه العراق المذهب الحنفي .

وفي سنة 195 هجرية وفد الى بغداد وكان له بها مجلس علم والتفت إليه علماءها ويأخذون عنه ويقصدون الطلاب من كل مكان ، وأثناء إقامته في بغداد ألف كتابه الرسالة ونشر فيها مذهبه القديم ولازمه خلال هذه الفترة اربعة من كبار اصحابه وهم أحمد بن حنبل وأبو ثور والزعفراني والكرابيبي ، وله الذهاب والإياب ما بين مكة وبغداد في طلب العلم والقاء الدروس وغير ذلك حتى قدم إلى مصر سنة 199 هجرية .

نزل الشافعي في فسطاط بمصر ضيفا على عبد الله بن عبد الحكم ، واتخذ مصر دار إقامته وبدأ بإلقاء الدروس في مجالس مختلفة ، وألقى دروسه في جامع عمرو بن العاص في مذهبه الجديد ويجادل مخالفه ، ووفد إليه طلاب العلم ولازمه وصار في صحبته تلاميذه مثل الربيع بن سليمان المرادي وعبد الله بن الزبير الحميدي ، ومال إليه الناس وجذبت فصاحته وعلمه كثيرا من اتباع الامامين ابي حنيفة ومالك . وبقي هناك خمس سنوات قضاها في التأليف والتدريس والمحاضرة والمناظرة والرد على الخصوم ، وفي مصر وضع الشافعي مذهبه الجديد وهو الأحكام والفتاوى ، وعكف على العبادة حتى اصطفاه الله لجواره في آخر ليلة من رجب سنة 204 هجرية / 820 ميلادية .

صفته وأخلاقه :

كان الشافعي طويلاً نحيلاً ، حفيف العارضين وحسن الصوت والسمت فصيح المنطق ، راحد العقل قوي الحجة ثقة في دينه كريماً في خلقه ، قال احمد عن كلامه : كان الشافعي إذا تكلم كأن صوته صنج أو جرس من حسن صوته ، وكان أفصح الناس منطقتاً وأفقههم في كتاب الله وسنة رسوله ، وقال ابو عبيدة : مارأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي ، وكان الشافعي يقول : عليك بالزهد فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الناقد . مرة سأل عبد الله بن أحمد بن حنبل لوالده عن الشافعي فقال والده : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن ، وقال ابو ثور : من قال إنه رأى مثل الشافعي في علمه وفصاحته ومعرفته وبيانه وتمكنه فقد كذب .

ان الشافعي مشهوراً بتواضعه وخضوعه للحق وتشهد له بذلك دروسه ومعاشرته لاقرائه وتلاميذه وللناس . كما ان العلماء من اهل الفقه والاصول والحديث واللغة اتفقوا على امانة الشافعي وعدالته وزهده وورعه وتقواه وعلو قدره ، وكان مع جلالته في العلم مناظراً حسن المناظرة ، امينا لها طالبا للحق لا يبغي صيتاً وشهرة حتى اثرت عنه هذه الكلمة : " مانظرت احداً الا ولم أبال بيبين الله الحق على لسانه او لساني " . وبلغ من اكار احمد بن حنبل لشيخه الشافعي أنه قال حين سأله ابنه عبد الله : أي رجل كان الشافعي ، فأني رأيتك تكثر الدعاء له ؟ قال : " كان الشافعي كالشمس للنهار وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف او عنهما من عوض " . وكان الشافعي رحمه الله فقيه النفس ، موفور العقل ، صحيح النظر والتفكير ، عابداً ذاكرة . وكان رحمه الله محباً للعلم حتى انه قال : " طلب العلم افضل من صلاة التطوع " ومع ذلك روى عنه الربيع بن سليمان تلميذه أنه كان يحيي الليل صلاة الى ان مات رحمه الله ، وكان يختم في كل ليلة ختمة . وروى الذهبي في السير عن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعي قد جزأ الليل ، فثلثه الاول يكتب ، والثاني يصلي ، والثالث ينام . وقال الذهبي افعاله الثلاثة بالنية ، والحق ما قاله الذهبي ، فان النيات صنعة العلماء ، والعلم اذا أثمر العمل وضع صاحبه على طريق النجاة ، وما أحوج امتنا اليوم الى العلماء العاملين الصادقين العابدين الذين تفرغ اليهم الامة في الازمات وما اكثرها ولا حول ولا قوة الا بالله .

وظل الامام الشافعي في مصر ولم يغادرها يلقي دروسه ويحيط به تلامذته حتى لقي ربه ، ومن اروع ما رثي به من الشعر قصيدة لمحمد بن دريد يقول في مطلعها :

الم تر آثار ابن ادريس بعده دلائلها في المشكلات لوامع

ه وفضله :

كان الشافعي اول من تكلم في أصول الفقه وصنف فيه كتابا ونبغ في أصول العلم والفقه وقد ذكر له صاحب الفهرست ما يربي على مائة مؤلف ليس في أيدي الناس منها إلا كتاب الأم في الفقه في سبعة مجلدات ، ان الشافعي قضى حياته في كسب العلم والفقه والحديث ونشره قال أحمد بن حنبل : ما أحد يحمل محبرة إلا وللشافعي عليه منة . وتوسط في مذهبه بين أهل الرأي وأهل السنة ، وكثر اتباعه في نواحي العالم فقاموا الحنفية مناصب التدريس والفتوى، وشجر الخلاف بين أتباع المذهبين ، وتعددت المناظرات ، حتى نشأ من ذلك علم الخلاف والجدل .

قال الشافعي : من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر في الفقه نبذ قدره ومن تعلم اللغة والنحو رقى طبعه ومن كتب الحديث قويب حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

لقد كان الشافعي فصيح اللسان بليغا حجة في لغة العرب عاش فترة من صباه في بني هذيل فكان لذلك اثر واضحا على فصاحته وتضلعه في اللغة والادب والنحو ، اضافة الى دراسته المتواصلة واطلاعه الواسع حتى اصبح يرجع اليه في اللغة والنحو . فكما مر بنا سابقا فقد قال الاصمعي صححت اشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن ادريس . وقال احمد بن حنبل : كان الشافعي من افصح الناس ، وكان مالك تعجبه قراءته لانه كان فصيحاً . وقال احمد بن حنبل : ما مس أحد محبرة ولا قلما الا وللشافعي في عنقه منة . وقال ايوب بن سويد : خذوا عن الشافع اللغة . ويعتبر معظم شعر الامام الشافعي في شعر التأمل ، والسماط الغالبة على هذا الشعر هي (التجريد والتعميم وضغط التعبير) وهي سماط كلاسيكية ، اذ ان مادتها فكرية في المقام الاول ، وتجلياتها الفنية هي المقابلات والمفارقات التي تجعل من الكلام ما يشبه الامثال السائرة او الحكم التي يتداولها الناس ومن ذلك :

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول انت جميع امرك
ما طار طير وارتفع الا كما طار وقع

:

بعد هذا العرض الموجز لاصول مذهب الامام الشافعي وعقيدته ، نتطرق الى شعره . فقد عرف الامام الشافعي كامام من أئمة الفقه الاربعة ، لكن الكثيرين لا يعرفون أنه كان شاعرا . واذا كان شعر التأمل ينزع الى التجريد والتعميم ، فليس معنى ذلك انه خال تماما من الصور والتشبيهات الكلاسيكية ، ولكنها تشبيهات عامة لاتتم عن تجربة شعرية

خاصة ، فشعر التأمل ينفر من الصور الشعرية ذات الدلالة الفردية ، ويفضل الصور التي يستجيب لها الجميع .فالشافعي يقدم لنا اقوالا نصفها اليوم بأنها تقريرية . في أدناه صوراً من أشعار الامام الشافعي :

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
جعلت الرجا مني لعفوك سلما
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
تجود وتعفو منة وتكرما
فما رلت ذا عفو عن الذنب لم تزل

اما قوله في الزهد قوله :

عليك بتقوى الله ان كنت غافلا
تدري
فكيف تخاف الفقر والله رازقا
البحر
ومن ظن ان الرزق يأتي بقوة
نزول عن الدنيا فأنتك لا تدري
الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة
الدهر
يأتيك بالارزاق من حيث لا
تدري
ققد رزق الطير والحوت في
البحر
ما أكل العصفور من النسر
أذا جن ليل ليل هل تعش الى
الفجر
وكم من سقيم عاش حيناً من
الدهر

مؤلفاته :

له مئات من الكتب منها : كتاب الرسالة القديمة والجديدة ألف الشافعي الرسالة الجديدة في مصر والقديمة كتبه في بغداد، كتاب الرسالة مدونا بالأصول التي اعتمد عليها في فقهه ، والقواعد التي التزمها في اجتهاده في رسالته الأصولية ، وطبق هذه الأصول في فقهه ، و كتاب الأم : يذكر فيه الشافعي الحكم مع دليله ويوضح أحكام الفقه وهي في سبعة مجلدات ، ويبين فيه وجه الاستدلال بالدليل وقواعد الإحتهاد واصول الإستنباط .

وكتاب مسند الشافعي : في الأحاديث ، وكتاب السنن المأثورة ، وكتاب أحكام القرآن ، وكتاب بيان قرص الله عز وجل ، للشافعي الكثير من المصنفات في أصول الفقه وفروعه، أما الكتب التي تجمع أصول الفقه وتدل على الفروع فهي :

1. كتاب الرسالة القديمة (كتبه في بغداد)
2. كتاب الرسالة الجديدة (كتبه في مصر)
3. كتاب اختلاف الأحاديث
4. كتاب جماع العلم
5. كتاب إبطال الاستحسان
6. كتاب أحكام القرآن
7. كتاب بيان فرض الله عز وجل
8. كتاب صفة الأمر والنهي
9. كتاب اختلاف مالك والشافعي
10. كتاب اختلاف العراقيين
11. كتاب الرد على محمد بن الحسن
12. كتاب علي وعبد الله

منهجه في فقهه

وتطرق احمد تمام في كتابه (الشافعي ملامح وآثار) كيفية ظهور شخصية الشافعي ومنهجه في الفقه . هذا المنهج الذي هو مزيج من فقه الحجاز وفقه العراق ، هذا المنهج الذي انضجه عقل متوهج ، عالم بالقران والسنة ، بصير بالعربية وادابها خبير باحوال الناس وقضاياهم ، قوي الرأي والقياس .

فلو عدنا الى القرن الثاني الميلادي لوجدنا انه ظهر في هذا القرن مدرستين اساسيتين في الفقه الاسلامي هما مدرسة الراي ، ومدرسة الحديث ، نشأت المدرسة الاولى في العراق وهي امتداد لفقه عبدالله بن مسعود الذي اقام هناك ، وحمل اصحابه علمه وقاموا بنشره . وكان ابن مسعود متأثرا بمنهج عمر بن الخطاب في الاخذ بالرأي والبحث في علل الاحكام حين لا يوجد نص من كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن أشهر

تلامذة ابن مسعود الذين أخذوا عنه : علقمة بن قيس النخعي ، والاسود بن يزيد النخعي ، ومسروق بن الاجدع الهمداني ، وشريح القاضي ، وهؤلاء كانوا من ابرز فقهاء القرن الاول الهجري . ثم تزعم مدرسة الرأي بعدهم ابراهيم بن يزيد النخعي فقيه العراق بلا منازع وعلى يديه تتلمذ حماد بن سليمان ، وخلفه في درسه ، وكان اماما مجتهدا وكانت له بالكوفة حلقة عظيمة يؤمها طلاب العلم وكان بينهم ابو حنيفة النعمان الذي فاق أقرانه وانتهت اليه رئاسة الفقه ، وتقلد زعامة مدرسة الرأي من بعد شيخه ، والتف حوله الراغبون في تعلم الفقه وبرز منهم تلاميذ بررة على رأسهم ابو يوسف القاضي ، ومحمد بن الحسن ، وزفر والحسن بن زياد وغيرهم ، وعلى يد هؤلاء تبلورت طريقة مدرسة الرأي واستقر امرها ووضح منهجها .

وأما مدرسة الحديث فقد نشأت بالحجاز وهي امتداد لمدرسة عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعائشة وغيرهم من فقهاء الصحابة الذين أقاموا بمكة والمدينة ، وكان يمثلها عدد كبير من كبار الأئمة منهم سعد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وابن شهاب الزهري ، والليث بن سعد ، ومالك بن انس . وتمتاز تلك المدرسة بالوقوف عند نصوص الكتاب والسنة ، فان لم تجد التمسث اثار الصحابة ، ولم تلجئهم مستجدات الحوادث التي كانت قليلة في الحجاز الى التوسع في الاستنباط بخلاف ما كان عليه الحال في العراق .

وجاء الشافعي والجدل مشتعل بين المدرستين فأخذ موقفا وسطا ، وحسم الجدل الفقهي القائم بينهما بما تيسر له من الجمع بين المدرستين بعد ان تلقى العلم وتتلذذ على كبار اعلامهما مثل مالك بن انس من مدرسة الحديث ومحمد بن الحسن الشيباني من مدرسة الرأي .

دون الشافعي الاصول التي اعتمد عليها في فقهه ، والقواعد التي التزمها في اجتهاده في رسالته الاصولية "الرسالة" وطبق هذه الاصول في فقهه ، وكانت اصولا عملية لا نظرية ، ويظهر هذا واضحا في كتابه " الام " الذي يذكر فيه الشافعي الحكم مع دليله ، ثم يبين وجه الاستدلال بالدليل وقواعد الاجتهاد واصول الاستنباط التي اتبعت في استنباطه ، فهو يرجع اولا الى القران وما ظهر له منه ، الا اذا قام دليل على وجوب صرفه عن ظاهره ، ثم الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الخبر الواحد الذي ينفرد راو واحد بروايته ، وهو ثقة في دينه ، معروف بالصدق ، مشهور بالضبط . وهو يعد السنة مع القران في منزلة واحدة ، فلا يمكن النظر في القران دون النظر في السنة التي تشرحه وتبينه ، فالقران يأتي بالاحكام العامة والقواعد الكلية ، والسنة هي التي تفسر ذلك ، فهي التي تخصص عموم القران او تقيد مطلقه ، او تبين مجمله .

ولم يشترط الشافعي في الاحتجاج بالسنة غير اتصال سند الحديث وصحته ، فإذا كان كذلك صح عنده وكان حجة عنده ، ولم يشترط في قبول الحديث عدم مخالفته لعمل أهل المدينة مثلما اشترط الإمام مالك ، أو أن يكون الحديث مشهوراً ولم يعمل راويه بخلافه . ووقف الشافعي حياته على الدفاع عن السنة ، وإقامة الدليل على صحة الاحتجاج بالخبر الواحد ، وكان هذا الدفاع سبباً في علو قدر الشافعي عند أهل الحديث حتى سموه (ناصر السنة) . ولعل الذي جعل الشافعي يأخذ بالحديث أكثر من أبي حنيفة حتى أنه يقبل خبر الواحد متى توافرت فيه الشروط ، أنه كان حافظاً للحديث بصيراً بعلمه ، لا يقبل منه إلا ما ثبت عنده ، وربما صح عنده من الأحاديث ما لم يصح عند أبي حنيفة وأصحابه . وبعد الرجوع إلى القرآن والسنة يأتي الإجماع أن لم يعلم له مخالف ، ثم القياس شريطة أن يكون له أصل من الكتاب والسنة ، ولم يتوسع فيه مثلما توسع الإمام أبو حنيفة .

السيد أبو الحسن علي الحسن (1914 – 1999)

ABUL HASAN ALI HASAN ANNADWI (1914 -1999)

هو العالم المؤمن مفكر الإسلام ، من أبرز الشخصيات الإسلامية الذي يتمتعون بسمعة طيبة وشعبية واسعة على الصعيد الوطني والعالمي. هو الشيخ أبو الحسن علي الحسن الندوي عالم مشهور وأديب ماهر وداعية كبير ومفكر نادر وقائد خطيب مصقع وفقه كبير، ويعرف بعلي ميان ، وقد سجلت بطولاته الحاسمة في مختلف قضايا المسلمين ومواقفهم الحرجة ، وذلك بمقالاته ومحاضراته العلمية والتوجيهية وتدخلاته الوقتية في شؤونهم ، ولم يشهد العالم المعاصر من أبناء الهند رجالاً آخرين صنعوا مثل ما صنعه العلامة أبو الحسن علي الندوي بعلمه وثقافته وتجاربه.

ولادته وأسرته:

ولد أبو الحسن علي الندوي في شهر محرم عام 1333 هجري الموافق 1914 ميلادي بقريّة تكيّة كلان مديرية رائي بريلي هي تبعد عن لكهنو بسبعين كلومتر تقريباً الواقعة بولاية أوترا برديش الهندية . وكانت أسرته من أصل عربي يحافظ على الكتاب والسنة والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله. إن أسرة سماحة الشيخ تعد من الأسرة المعروفة في الهند ينتهي نسبها إلى سيدنا حسن السبط الأكبر ابن الأمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولذلك اشتهرت بالحسنية .

ووالده علامة الشيخ عبد الحي الحسني اللكنهوي، صاحب التصانيف الجلييلة الضخمة، إشتهر بموسوعات "نزهة الخواطر" التي دون فيها حياة مشاهير العلم بالبلاد الهندية. ووالدته خير النساء، وهي من النساء الفضليات آنذاك ، وقد خلفت مجموعات شعرية في مناجاة الله والدعاء ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض المؤلفات. نزل أجداده من الحجاز إلى الهند واستقروا في نصيرآباد إحدى مديريات الولاية الشمالية ، وأول من جاء إلى الهند من أجداده هو الأمير السيد قطب الدين في أوائل القرن السابع الهجري. وعلى مر العصور قدمت هذه الأسرة أعلاما ورجالا بارزين في العلوم والفنون .

نشأته ودراساته :

قضى أبو الحسن علي الندوي معظم أيام الطفولة في لکنهو، حيث كان والده يشتغل بإدارة دار العلوم وندوة العلماء. وبدأ دراساته الابتدائية بتعلم القرآن في بيته، وتعلم مع ذلك الأردوية والفارسية ، ولما توفي والده سنة 1923 م وهو ابن تسع سنين، وتولت أمه الفاضلة السيدة خير النساء تعليمه وتنقيفه وتربيته، ورجع مع أمه إلى رائي بريلي وتربى في حجرها، ثم قدم إلى لکنهو حيث كان أخوه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني الذي إليه يرجع أكبر الفضل في تربية الشيخ أبي الحسن وتنقيفه ورسم طريق مستقبله، كما يشير إليه في كتابه " شخصيات وكتب أثرت حياتي". وتعلم اللغات المختلفة تحت إشرافه. وقد أتقن اللغة الفارسية وتوسع في آدابها، حتى تمكن من مطالعة كتب الطبقات والسير والتراجم والعلوم المكتوبة فيها ، وقد دفعه حبه للغة الفارسية إلى دراسة اللغة العربية التي استقت منها الأولى لحمتها وسداها. وبدأ يدرسها في 1942 م على الأديب الفاضل الشيخ خليل بن محمد اليماني، علمه في اللغة العربية وآدابها، ولازمه مدة . وكان يلقي عليه الدروس في الصرف وأبو الحسن يحفظ ما يلقاه فورا، وكان يدرس بأسلوب خاص ونمط جديد .

وأخذ يتقن اللغة العربية عن عمه الشيخ طلحة بن محمد بن نور الهدى بن محمد بن علي الحسني، وكان أستاذا للعربية في الكلية الشرقية بلاهور. واستفاد منه كثيرا. وتمهر الشيخ أبو الحسن في اللغة العربية والأردوية والفارسية على عادة أبناء المسلمين في الهند ثم بدأ يتعلم الإنجليزية بجهوده الخاصة ، وهو في الثانية عشرة من عمره، وساعد هذا على فهم العلوم التي تتعلق بالتاريخ والحضارة والفلسفة. والتحق بجامعة لکنهو الحكومية عام 1927 م في قسم الأدب العربي، وكان يومئذ أصغر طلاب الجامعة سنا، ولم يكتب له النجاح في أول الأمر، إلا أنه ثابر وواظب على الدراسة مما جعله يجتاز الإختبارات النهائية بتقدير ممتاز، وحصلت له المنحة والميدالية الذهبية من حكومة الإنجليز.

وفي سنة 1929 م التحق بدار العلوم ندوة العلماء ليستكمل حظه من دراسة الحديث بعد تخرجه من جامعة لكهنو الحكومية . ومكث بها سنتين يدرس علوم الحديث من العلامة حيدر خان شيخ الحديث وقتئذ هناك، فقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي وشيئا من تفسير البيضاوي وبعض الدروس في المنطق. كما اتم دراساته الأدبية العربية على الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي، وكان مدرسا في الندوة لثلاث سنوات. فحضر مجالسه العلمية واستفاد منه مما فتق قريحته العربية . وظهرت أول مقالته الأدبية سنة 1931 م حين كان في السادسة عشرة من عمره ، وكانت مقالا في ترجمة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، وقد نشر في مجلة "المنار" لرشيد رضا.

وفي السنة 1932 م التحق بمدرسة قاسم العلوم المخصصة لخريجي المدارس الدينية. وأكمل الدراسة واجتاز الاختبارات بتقدير عال. وقد أجازته المحدث عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري شارح كتاب الترمذي. ومن شيوخه شبلي الأعظمي، والشيخ عبد الرحيم الفاروقي والشيخ إعزاز علي أصغر. وقد أتم دراسته وهو في سن العشرين.

لاته في مجال الع :

وقد فتحت امامه الآفاق العلمية برحلته إلى لاهور حيث كان يعمل عمه. إذ قرأ التفسير على المفسر المشهور والمصلح الكبير الشيخ أحمد علي اللاهوري، وأتيحت له الفرص هناك للقاء الأعلام الكبار من الشعراء والعلماء من أمثال الشيخ حفيظ جالندهري صاحب الملحمة الإسلامية الشهيرة، والدكتور محمد إقبال، فيلسوف الشرق وشاعر الإسلام، وقد دارت بينهما الأحاديث . وسجلت تلك اللحظات في قلبه شعورا رائعا حيث يذكره في كتابه روائع إقبال: "وكنت في السادسة عشرة من عمري وقد قدر لي أن أزور لاهور بلد العلم والثقافة في الهند ومقر الشاعر العظيم وفي يوم صائف شديد الحر من أيام أيار والأخيرة أخذني عبد الله الجغتائي إلى محمد إقبال وقدمني إليه وذكر شغفي بشعره وقدمت إليه ترجمتي لقصيدته جاند (القمر) فتصفحها محمد إقبال ووجه إلي أسئلة عن بعض شعراء العربية يختبر بها دراستي وثقافتني وانتهى المجلس ورأيتني معجبا بتواضع الشاعر العظيم وبساطة مظهره وعدم تكلفه في المعيشة والحديث". ورجع إلى لكهنو وحضر دروس التفسير والحديث والفقهاء للمشايخ الكبار من حيدر حسن بن أحمد حسن الأفغاني الذي لازمه سنتين. ثم سافر إلى لاهور مرة أخرى وصحب الشيخ أحمد علي اللاهوري وقرأ عليه التفسير وكتاب حجة الله البالغة.

في عمل التدريس:

صار الشيخ أبو الحسن معلما في دار العلوم ندوة العلماء عام 1934 م وهو يناهز العشرين، وعمل فيها يدرس التفسير والحديث والأدب العربي والتاريخ وعلم المنطق. واستمر في مهنة التدريس عشر سنوات. كما انتهز الفرصة للاستفادة من الصحف والمجلات العربية الواردة إلى الندوة . واستطاع بذلك تعرف أحوال العالم العربي والإسلامي والاطلاع على أفكار العلماء المعاصرين من الدعاة والعلماء، ووسع أفكاره وعقليته. ويمكن القول إن هذه الفترة بالنسبة إلى الشيخ الندوي كانت فترة نضوج لأفكاره وبروز بواكيره. وقد تدرج، وهو في سلك التعليم بدار العلوم. في سنة 1938 م ظهر كتابه "سيرة السيد أحمد الشهيد" في اللغة الأردوية ، ونال هذا الكتابقبولا حسنا وأصبح موضوعا للبحث بين العلماء، وظهر كتاباه قصص النبيين للأطفال في خمسة أجزاء، والقراءة الراشدة في ثلاثة أجزاء في سنة 1944م، ومختارات من أدب العرب في قسمين لدراسة النصوص الأدبية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

طاف معظم أنحاء البلاد، وزار المراكز الدينية وعرف مناهجها وأسلوب أدائها كما تعرف عددا من العلماء من أمثال الشيخ عبد القادر الراي بوري، والداعية محمد إلياس الكاندهلوي. وتأتي رحلاته جزءا من تدريسه لأنه كان يلقي المحاضرات العلمية القيمة في أثناء هذه الرحلات. وفي عام 1947 م سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج وأقام بالحجاز ستة أشهر قضاها مشغولا بالأعمال الدعوية . وخلال هذه الأيام انغمس في تأليف كتابه المشهور "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" نال هذا الكتاب شهرة عظيمة في البلاد العربية وظهرت الطبعة الأولى في مصر سنة 1950م . ورحل إلى مصر والشرق العربي عام 1952م حيث لقي قادة الفكر الإسلامي والأعلام الكبار من الأدباء والعلماء والمؤلفين. وألقى محاضرات علمية كانت تنبض بالإيمان والحياة والحماس والإخلاص، مما يهتز له القلوب الطيبة . وكان حضوره في مصر بيعا لطلاب العلم في كليات الأزهر. وكان منهم الشيخ يوسف القرضاوي وياسين الشريف. وقد التقى بمصر بالمشايخ الكبيرة.

وأخذ الشيخ أبو الحسن يتصل بالشعب عن طريق الدعوة إلى الإسلام منذ سنة 1939م ، قام برحلات عديدة لنشر الدعوة الإسلامية في أنحاء الهند، منها ممباي وزار أمبيدكار ودعاه إلى الإسلام ورحل إلى مصر وفلسطين وعمان، وطاف تركيا ولبنان وطرابلس في سنة 1956م . واتصل بالعلماء والأمراء والمفكرين. قد طبعت مذكراته حول هذه الرحلات باسم "مذكرات سائح في الشرق العربي". وفي عام 1960 م سافر إلى بورما ومكث فيها أكثر من شهر وألقى عشرات المحاضرات. وفي 1962 م سافر إلى الكويت للتعريف بندوة العلماء . وقدم إلى المدينة سنة 1963 م بناء على دعوة من نائب رئيس

الجامعة الإسلامية فيها لإلقاء المحاضرات، حيث ألقى على مسامع طلابها ثماني محاضرات حول "النبوة والأنبياء في ضوء القرآن". ثم رحل إلى دمشق عام 1965م ، وذلك بناء على دعوة من كلية الشريعة بجامعة دمشق. وقد قدم محاضراته العلمية حول موضوع " التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي". وجمعت هذه المحاضرات فيما بعد في كتابه رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

وطاف لندن وجنيفا وباريس وأسبانيا وقابل وغيرها من أنحاء أوربا الكبرى. وأتيحت له الفرصة للزيارة عددا من المفكرين الغرب والمستشرقين حيث تجاذبوا أطراف الأحاديث التي تعني بالحضارة والثقافة والدين كما ألقى محاضراته العلمية في المناسبات المختلفة. ثم تتابعت الرحلات إلى أنحاء البلاد العالم، وقوى العلاقات بينه وبين الشخصيات البارزة في تلك البلاد، وقوى أيضا العلاقات بين تلك البلاد والهند. وتجسدت هذه العلاقات في المهرجان التعليمي الذي أقيم عام 1985م في رحاب دار العلوم ندوة العلماء بمناسبة مرور خمسة وثمانين عاما على تأسيسها ، حيث حضره زمرة من رجال العلم والفكر والدعوة من أنحاء العالم المختلفة تقديرا منهم بمكانة العلامة الندوي ومساندة لنشاطاته الدينية.

:

عمل الشيخ في الجرائد العربية والأردوية ومجلاتها ، وتولى رئاسة التحرير لمجلات ومطبوعات كثيرة. لأن مهاراته التدريسية والتأليفية كان له قدم سبق في الصحافة العربية منها والأردوية ، وكان رئيس التحرير لمجلة الندوة التي تصدر بالأردوية ، وهي لسان حال ندوة العلماء، كما ترأس تحرير مجلتي تعمير حيات ونداء ملة. وكان يكتب باستمرار في مجلة الضياء التي تصدر من دار العلوم ندوة العلماء تحت تحريرها العلامة مسعود عالم الندوي، فساهم في تحريرها مجلة الندوي الأردوية ، ولما توقفت هذه المجلة عن الصدور ترأس الشيخ الندوي مجلة البعث الإسلامي ومجلة الرائد. كما كان يعمل محررا مراسلا لمجلة المسلمون الصادرة من جنيف تحت رئاسة الدكتور سعيد رمضان.

مواهبه ومكانته العلمية:

كان الشيخ العلامة الندوي متواضعا في حياته يتخفف في ثيابه وطعامه وفراشه، وهو تعويضا عادلا عن قرن واحد مضى بعد الأمير صديق حسن خان القنوجي من حيث حجم الإنتاجات الفكرية والعلمية. وقد ترعرع في بيت معمور بالفضل ومشهور بالعلم ، وهذه الظروف المواتية جعلته ينشأ مجبولا على مناصرة الحق ومجاهدة الباطل

ومحاربة الجور والطغيان، وغيورا على دينه وأمته. وقد أشرب منذ صغر سنه حبه للعلم وشغفه بالعربية، ونهل من مناهلها الصافية النقية، من كبار علماء عصره مما جعله ضليعا في فنون العربية خبيرا بقواعدها بصيرا بأسرار الكلام فيها، وهو في زهرة شبابه وربيع عمره. وظهرت باكورة أعماله وهو ابن السادسة عشر من عمره، وذلك حين ترجم سيرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد من الأردوية إلى العربية .

وقد اعطاه الله له أذنا واعية وذوقا سليما وقوة الذاكرة وطبيعة نافذة. ونبغ في اللغات الخمس وهي العربية والأردوية والفارسية والهندية والإنجليزية، واستطاع بذلك أن يوسع نطاق علمه وتجاربه ومواهبه، وكان لمعايشته للأحوال القاسية التي شهدتها الأمة الإسلامية أثر بالغ في ذهنه. كما أن تصريفه للأمور وتقلبه في البلاد واختلاطه بألوان الناس واتصاله برجال العالم وتمرسه في الصحافة فتقت قريحته وسهلت أسلوبه وذللت له المعاني والأفكار التي تجددت عليها معالم الحضارة . وقد تكونت لديه نظرة خاصة إلى مسيرة الأعمال الدعوية والإصلاحية، وهو يقول: يدل التاريخ على أن الظلم كان في بعض الأحيان السبب الرئيس لانهايار المجتمعات ولاندثار الإمبراطوريات وانطفاء نورها والقضاء على ما تكون فيها من حضارة وثقافة وما نشأ فيها ثروة علمية وأدبية.

وتشهد كتاباته بالعربية والأردوية تعد بالأفكار الناضجة وقوته في التأليف التي استخرجت من حنكته بالأيام واطلاعه على التاريخ. وقد أشاد بجودة أسلوبه زعماء الأدب في العالم العربي. فهذا الشيخ محمد المجنوب يقول: ومنتبع ما يكتب الشيخ الندوي ليشعر بأن لعباراته الأدبية سحرا لا يتوافر في العادة إلا في العلية من أصحاب المواهب الذين تعمقوا سر الكلمة وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغونه. وعندما صدر عمله الرائع "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" واطلع عليه الشيخ على الطنطاوي قضى منه العجب وقال: لما رأيت هذا الكتاب لم أكن أعرف مؤلفه فقلت من هذا الباحث الهندي الذي يكتب بمثل هذا الأسلوب العربي النقي، ويحيط بأحوال المسلمين هذه الإحاطة؟ ثم علمت أنه هندي المولد وعربي الأرومة.

وقد أبدى الشيخ محمد بهجة البيطار رأيه في كتابه مذكرات سائح في الشرق العربي قائلا: تصفحته كله فرأيت فيه من الفرائد والفوائد ما لا أحصيه عدا، وما يقصر قلبي عن وصفه، وسبحان من وهبكم القدرة على الكتابة بلسان عربي مبين فيه شائبة العجمة.

شخصيته وفضله :

جمع الله في شخصية الندوي عدة مؤهلات ومواهب. وهو صاحب عقل نير وفهم مشرق متوقد وعاطفة قوية واطلاع واسع فازداد نموا وخصبا. وهو رجل ذو قلب فياض وصاحب قلم سيال وروح ناضرة ولسان ذرب مرهف بليغ. ومع هذا كان سمته البارزة في الحياة الزهد والقناعة والهمة العالمية ما لانت قناته أمام الأزمات ، وما عثرت قدماء عند الصدمات. وهذه الصفات والمواهب جعلته أهلا لقيادة فكرية وعلمية بهدف الإصلاح الديني والاجتماعي . وتتمثل هذه القيادة الرشيدة في عدد من المناصب التي شغلها رحمه الله خدمة منه للدين والعلم واللغة والأدب والثقافة.

أنه عكف على العلم والعمل وعلى نشره وتدريسه والتأليف فيه ، كرس حياته في تأصيل الفكر الإسلامي في المجتمع. والناظر في نشاطه الديني والثقافي سوف يرى أنه قاد حركتين رئيسيتين: حركة وقاية المسلمين وحمايتهم من الانحرافات الدينية والاجتماعية واستعادة الهوية الإسلامية إليهم. واستخدم لهذا كل محاضراته وخطبه في المناسبات المختلفة لتحريك هذه الفكرة بين الطبقة المثقفة ، وكان أسلوبه بهذا الصدد مجلجا حيناً وهادئاً حيناً آخر. وقد اتخذ لنفسه منهجا سديدا تحقيقا لهذا الغرض. وهو الإعتماد على الأسوة الحسنة التي تتمثل في سيرة الرسول (ص) . وكان يصل بهذه الفكرة لقلوب أهل عصره ومصره بقلوب أهل خير القرون. والحركة الثانية التي قادها الندوي تتمثل في جهوده لرعاية جميع المواطنين، بوصفهم أبناء وطن واحد، جذورهم من أصل واحد، من أبوة وأمومة واحدة، وهذه الفكرة تجسد مفهوم الإنسانية العليا التي ينشدها الدين الحنيف وقوامها التسامح والتعايش والتفاعل. وقد أنشأ لهذا الغرض " الرسالة الإنسانية" في منتصف الخمسينات في القرن الماضي، بهدف إيجاد التعارف والتفاهم بين أهل الأديان المختلفة ونشر المودة والسلام فيما بينهم . وقد وفق بهذا لنشر مبادئ الدين الإسلامي والإنسانية وتحبيبها إلى الشعوب وتصحيح مفاهيمهم عن الإسلام. وكان لمبادرته هذه أثر قوي في نفوس جميع الناس حيث قابلوه بكل الإحترام والحفاوة . حتى صار ذلك مؤثرا في تخفيف التوتر القائم بين طبقات الهنادكة والمسلمين في الهند.

وقد حظيت دار العلوم ندوة العلماء تحت رعايته بتطور ملحوظ في نطاقها التعليمي والإداري ، حتى أصبحت الآن صرحا علميا شامخا بتراتها العريق الذي مضى عليه أكثر من قرن واحد. وقد آل إليه اشرافها عقب وفاة أخيه عام 1962 م . ومنذ ذلك امتزجت ندوة العلماء ودار العلوم بدمائه. وذاع صيتها وسمعتها في العالم. ولفت إليها أنظار المحسنين والمهتمين بها. والعبارات الآتية تجسد رآه في قيادة ندوة العلماء والمؤسسات التابعة لها: "تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي

منهاج الدرس العربي، فحذفت وزادت وغيرت وأصلحت في منهاج التعليم، حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجة إليها في هذا العصر، وأعطت القرآن حقه من العناية فقررت دراسة متنه الشريف حرفا حرفا، لغة ونحوا وأدبا واجتماعا وفقها وكلاما، هذا ما عدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية ، وألزمت تدريس القرآن والحديث بالتدرج في سنيها التعليمية".

ويأتي تأسيس المجمع الإسلامي العلمي بلكهنو في إطار الجهود النشاطات القيادة التي تزعمها العلامة الندوي، وهذا المجمع قبس من نور ندوة العلماء، يدعمها في تحقيق أهدافها وينشطها بمزيد من الجهود المستقلة التي تتمثل في إنتاج الأدب الإسلامي القوى وتأليف الكتب الإسلامية ذات الطابع العلمي والأسلوب العصري في اللغات العربية والإنجليزية والأردوية والهندية. وإلى هذا المجمع يرجع الفضل في نشر كثير من مؤلفات الشيخ الندوي.

مؤلفاته:

له مؤلفات عديدة بالعربية والأردوية، كتاباته تسيل بلغة بليغة، والصور البيانية والتعبير الجميل ، وأسلوبه يغلب عليه العنصر العاطفي، ومع ذلك أجاد البحث، ولا يتكلم في موضوع إلا إذا تهيأ له. وترجم كثيرا منها إلى اللغة الإنجليزية وبعضها إلى اللغة الفارسية ولغة مليالم وتامل وبنغالي وغجراتي.

خلف الندوي للمكتبة الإسلامية والعربية ذخيرة علمية هائلة تمثلها مؤلفاته التي تربو على مائتين ، وقد استيقظت عليها نهضة الثقافة العربية في الهند. وتتناول الدراسات والتحقيق والنقد والتعليق والمقارنة ، وتتنوع على القضايا التاريخية والدعوية والمدنية والاجتماعية والسياسية ، وتتضمن بيانا لرحلاته واطلاعاته. ومن أبرز مؤلفاته:

- ❖ الأركان الأربعة : في ضوء الكتاب والسنة
- ❖ ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : هو يعد بالأفكار البناءة والإتجاهات والعواطف عن واقع العالم والمسلمين. وكان صدوره في مستهل حياته الفكرية.
- ❖ رجال الفكر والدعوة في الإسلام : يتناول سير الأعلام الذين قادوا حركة الدعوة الإسلامية الإصلاحية والنهضة العلمية بيضاء ناصعة. وهو عمل موسوعي يرسم في خلاله الطريقة المثلى للدعوة والثقافة والتربية وصياغة العقلية الواعية. والكتاب جمع لمحاضراته القيمة التي ألقى على مسامع الطلبة في جامعة دمشق.
- ❖ السيرة النبوية : يعد هذا الكتاب مرجعيا في السيرة النبوية ،
- ❖ مختارات في الأدب العربي

- ❖ سيرة السيد أحمد الشهيد
- ❖ المرتضى
- ❖ القراءة الراشدة
- ❖ قصص النبيين
- ❖ العالم والإسلام
- ❖ القادياني والقاديانية
- ❖ الطريق إلى المدينة

:

لم يكتف العلامة الندوي بتقديم خدماته في مجال التدريس والتصنيف، بل تقلد مع ذلك عدة مناصب، انتخب ناظم دار العلوم ندوة العلماء بعد موت أخيه الأكبر الدكتور عبد العلي ، واختير عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في سنة 1961م . وظل يتدرج فيها حتى آخر حياته، في تأسيس المؤسسات والمجالس العلمية والأكاديمية وإدارتها داخل الهند وخارجها ومن أهم المناصب التي شغلها الندوي : أمين ندوة العلماء العام ورئيس دارالعلوم التابعة لها، وعضو المجلس الاعلى للدعوة الإسلامية بالقاهرة ، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس المجمع الإسلامي العلمي في لکنهو، وكذلك لمع في مناصب مختلفة في انحاء العالم.

كانت شخصية الندوي محط اهتمام العلماء العرب وتقديرهم ، وقد نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1980 م وفي عام 1999 م فاز بجائزة الشخصية الإسلامية الأولى لعام 1419 هجرة في دبي. وفي عام 1420 هجرة نال جائزة سلطان برونائي من مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية.

وفاته:

توفي هذا العالم الشهير في يوم الجمعة والثالث والعشرين من رمضان عام 1420 هجرة /1999 ميلادية ، في قرية رائني بريلي ، ولبي نداء ربه وهو في قراءة سورة الكهف استعدادا لصلاة الجمعة.

طه حسين 1889 – 1973 ميلادية

TAHA HUSSAIN (AD 1889 -1973)

طه حسين علم من أعلام الفكر وأديب من أدباء العصر وناقد من النقاد مصري يمتاز بالسلالة والطلاوة والجزلة والدقة والسهولة الممتعة ومثقف من الثقافة العربية والغربية والإسلامية والمعروف بعميد الأدب العربي اختار في حياته طريق الأدب والتاريخ والنقد ، يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الحديثة ، وبعضهم رأى فيه المصلح الكبير وأبرز دعاة التنوير في العالم العربي في حين يراى آخرون رائد من رواد التغريب في العالم العربي ، كما يعتقد أن الغرب هو من خلع عليه لقب عميد الأدب العربي.

مولده ونشأته :

ولد طه حسين في الرابع عشر من شهر نوفمبر عام تسع ثمانين وثمان مائة و الف ميلادية ، سابع اولاد أبيه حسين في قرية الكيلو قريبة من مغاغة إحدى مدن محافظة المينا في الصعيد الأوسط المصري . وما مر على عيني الطفل أربعة من الأعوام حتى أصيبتا بالرمد ما أطفأ النور فيهما إلى الأبد، ولكن عوضه الله ذكاء حاد وذكره قوية وقريحة نادرة ، وكان أبوه حسين علي عاملا صغيرا رقيق الحال في شركة السكر ، نشأ تحت ظل الفقر والجهل .

ادخله ابوه كتاب القرية للشيخ محمد جاد الرب اول استاذ لطفه حسين الذي علمه مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتلاوة القرآن الكريم ، وحفظ القرآن في مدة قصيرة أذهلت استاذه وأترابه ووالده بقوة ذاكرته وذكاءه .

حياته العلمية :

نال طه حسين مبادئ العلوم من كتاب قرينه وبعد حفظ القرآن رحل إلى أزهري في ثالث عشر من عمره ، ودرس الدراسات الدينية والعلوم العربية وعكف عليها وأعجب بدروس الشيخ سيد المرصفي الذي يدرس الأدب ولزم به ، في الأزهر تلقى العلم على يد عدد من الأساتذة والمشايخ أبرزهم الشيخ مصطفى المراغي والشيخ بخيت والشيخ محمد عبده ، وقد أعجب بادئ الأمر كثيرا بآراء هذا الأخير واتخذة مثالا في الثورة على القديم والتحرر من التقاليد . ونال شهادته التي تخوله التخصص في الجامعة ، قضى طه في الجامعة اربع سنوات، كان ينقد على الأزهر بالنظر الى رتبة الدراسة ، وعقم المنهج وعدة تطور الأساتذة والشيوخ وطرق وأساليب التدريس.

انتقل طه الى الجامعة المصرية عندما فتحت ابوابها سنة 1908 ميلادية كان طه حسين اول المنتسبين اليها ، فدرس العلوم العصرية والحضارة الإسلامية والتاريخ والجغرافيا وعددا من اللغات الشرقية كالحبشية والعبرية والسريانية ، وظل يتردد خلال تلك

الحقبة على حضور دروس الأزهر والمشاركة في ندواته اللغوية والدينية والإسلامية ، في الجامعة المصرية تتلمذ على يد أحمد زكي في دروس الحضارة الإسلامية ، وأحمد كمال باشا في الحضارة المصرية القديمة، والمستشرق الجودي في التاريخ والجغرافيا ، وكرنك نلليو في الفلك ، والمستشرق ليمان في اللغات السامية القديمة ، وسانتلانا في الفلسفة الإسلامية ، وميلوني في تاريخ الحضارة الشرقية القديمة ، ماسينيون في الفلسفة ، وكليمانت في الأدب الفرنسي.

وفي السنة 1914 ميلادية نال فيها شهادة الدكتوراه في موضوع الأطروحة "ذكرى ابي العلاء" ، هذه الأطروحة أثار ضجة في اوساط الدينية وفي ندوة البرلمان المصري حتى اتهم عضو البرلمان بالزندقة ، وفي نفس السنة أوفدته الجامعة المصرية إلى مونيخ بفرنسا لمتابعة التخصص والإستزادة من فروع المعرفة والعلوم العصرية، فدرس الفرنسية وآدابها وعلم النفس والتاريخ الحديث في خلال اقامته في فرنسا ، أثار معارك وخصومات متعددة عن الفرق الكبير بين تدريس الأزهر وتدريس الجامعات الغربية ، فمنعت الحكومة منحة الدراسة لطلبة ، ولكن السلطان حسين كامل قرر له المساعدة فعاد إلى فرنسا من جديد لمتابعة تحصيل العلمي وكان حينذاك في باريس ، فدرس في جامعتها مختلف الإتجاهات العلمية في علم الإتجاهات العلمية في علم الإجتماع والتاريخ اليوناني والروماني والتاريخي الحديث وأعد خلالها أطروحة الدكتوراة الثانية وعنوانها " الفلسفة الإجتماعية عند ابن خلدون" في سنة 1918 ميلادية ، خلال دراسته في فرنسا تعرف بفتاة فرنسية سويسرية اسمها سوزان بريسو وهي تساعده على الإطلاع كتب الفرنسية واللاتينية حيث صارت فيما بعد زوجته الحبيبة .

أستاذًا في الجامعة المصرية بعد عودته إلى مصر :

عاد طه حسين إلى مصر عقب الحرب العالمية الأولى مزودا بالثقافة الغربية الجديدة ، فعين استاذًا للتاريخ اليوناني والروماني في الجامعة المصرية سنة 1919 ميلادية ، فلما التحقت الجامعة بالدولة سنة 1925 ميلادية عينته وزارة المعارف أستاذًا فيها للأدب العربي فعميدا لكلية الآداب في الجامعة نفسها ، لكنه لم يلبث في العمادة سوى يوم واحد ، إذ قدم استقالته من هذا المنصب تحت تأثير الضغط المعنوي والأدبي الذي مارسه عليه الوفديون، خصوم الأحرار الدستوريين الذي كان منهم طه حسين .

وفي السنة 1926 هجرية نشر كتابه "في الشعر الجاهلي" وعمل فيه بمبدأ ديكرت وخلص في استنتاجاته وتحليلاته أن الشعر الجاهلي منحول بعد الإسلام وأن القرن الثاني الهجري كان قرن لهو وعبث وشك ومجون ، ودعا طه حسين إلى حرية الفكر وأن

ينظر في الأدب نظرا غير مقيد بمذهب أو عقيدة سوى روح البحث التحليلي، وأنه كتب بعد الإسلام ونسب للشعراء الجاهلين ، تصدى له العديد من علماء الفلسفة واللغة والنقاد وخاصة مصطفى صادق الرافعي والشيخ محمد الخضري وعلماء الأزهر ، فأعاد الطبع وعدل اسم كتابه إلى " في الأدب الجاهلي " وذلك بعد ان حذف منه فصلا الذي أثار جدالا في الاوساط العلمية والأدبية والدينية .

وأعيد طه حسين في سنة 1930 ميلادية إلى عمادة الآداب، ولكن بسبب منح الجامعة الدكتوراة الفخرية لعدد من الشخصيات السياسية المرموقة مثل عبد العزيز فهمي، وتوفيق رفعت ، وعلي ماهر باشا ، ورفض طه حسين لهذا العمل ، أصدر وزير المعارف مرسوما يقضي بنقله إلى وزارة المعارف، لكن رفض العميد تسلم منصبه الجديد اضطر الحكومة إلى إحالته إلى التقاعد سنة 1932 ميلادية .

:

عمل طه حسين في مجال الصحافة على أثر تحويله الى التقاعد ، انصرف الى الصحافة وأشرف على تحرير " كوكب الشرق" التي كان يصدرها "حافظ عوض" ، وما لبث من عمله بسبب خلاف بينه وبين صاحب الصحيفة وفارق وانتقل الى اشراف على تحرير "جريدة الوادي" ، ولكن لم ينشطه هذا العمل فترك سنة 1934 ميلادية .

في الجامعة المصرية أيضا :

وفي نفس العام أي سنة 1934 م عاد طه حسين الى الجامعة بصفة أستاذ للأدب ثم صار عميد الكلية الآداب في سنة 1936 ميلادية ، بسبب خلافه مع حكومة محمد محمود استقال من العمادة الى التدريس في الكلية نفسها ، وفي نفس السنة عين مديرا لجامعة الإسكندرية ، إضافة إلى عمله الآخر كمستشار فني لوزارة المعارف ومراقب للثقافة في الوزارة ، وفي عام 1944 م ترك الجامعة بعد ان احيل إلى التقاعد.

:

وفي سنة 1950 ميلادية كان الحكم بيد " حزب الوفد " عين طه وزيرا للمعارف وبقي في هذا المنصب سنتين وأعلن بأن التعليم ضروري لكل أفراد الشعب ضرورة الماء والهواء ، وبعد ذلك وجه كل عنايته لجامعة الإسكندرية وعمل رئيسا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعضوا في العديد من المجامع الدولية وعضوا في المجلس العالي للفنون والآداب ،

ونال جائزة الدولية التقديرية في الآداب تنويها بجهوده الأدبية فضلا عن الدكتوراه الفخرية من جامعات اوربية مختلفة وفي سنة 1964 ميلادية منحه الجزائر الدكتوراه الفخرية، وتولى في السنوات التي أعقبتها بمسؤوليات مختلفة ، انتخب عضوا في المجلس الهندي المصري الثقافي ، وأشرف على معهد الدراسات العربية العليا ، ولقد رشحته الحكومة المصرية لنيل جائزة نوبل ، وفي سنة 1965 ميلادية ظفر طه حسين بقلادة النيل ، إضافة إلى رئاسة مجمع اللغة العربية. وهكذا كثيرا من الجائزات وعديد من المناصب لبس الأديب الكبير طه حسين خلال حياته .

أساتذته :

أول أستاذ طه حسين في قريته كان الشيخ محمد جاد الرب ، وفي الأزهر الشيخ المرصفي والمصطفى المراعي ، والشيخ محمد عبده ، وفي الجامعة المصرية أحمد كمال باشا والمستشرق الجويدي وكرنك نلينو وليتمان وميلوتي وكليمان وغيرها

وفاته :

استمر طه حسين في خدماته الجليلة حتى يأتي أجله في الثامن والعشرون من شهر اكتوبر ثلاث سبعين وتسع مائة وألف ميلادية . قال عنه عباس محمود العقاد " إنه رجل جريئ العقل مفطور على المناجزة ، والتحدي فاستطاع بذلك نقل الحراك الثقافي بين القديم والحديث من دائرته الضيقة التي كان عليها الى مستوى أوسع وأرحب بكثير. وقد قال عنه أيضا الدكتور إبراهيم مذكور : اعتد تجربة الرأي وتحكيم العقل ، استنكر التسليم المطلق، ودعا إلى البحث، والتحري ، بل إلى الشك والمعارضة ، وأدخل المنهج النقدي في ميادين لم يكن مسلما من قبل أن يطبق فيها . أدخل في الكتابة والتعبير لونا عذبا من الأداء الفني حاكاه فيه كثير من الكتاب وأضحى عميد الأدب العربي بغير منازع في العالم العربي جميعه".

أدبه وأفكاره

دعا طه حسين من نهضة ، وعمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع المحافظة على المفردات اللغة وقواعدها ، اثارت آراءه الكثيرين، وجهت له العديد من الاتهامات ، ولم يبالي طه بهذه الثورة ولا بهذه المعارضات القوية التي تعرض لها ولكن استمر في دعوته للتجديد والتحديث ، فقام بتقديم العديد من الآراء التي تميزت بالجرأة الشديدة والصراحة فقد أخذ على المحيطين به ومن الأسلاف من المفكرين والأدباء طرقتهم التقليدية في تدريس الأدب العربي ، وضعف مستوى التدريس في المدارس الحكومية ،

ومدرسة القضاء وغيرها ، كما دعا إلى أهمية توضيح النصوص العربية الأدبية للطلاب، هذا بالإضافة لأهمية إعداد المعلمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية ، والأدبي ليكون على قدر كبير من التمكن، والثقافة بالإضافة لاتباع المنهج التجديدي ، وعدم التمسك بالشكل التقليدي في التدريس.

إن الأدب بنوعيه النثر والشعر، لكن باعتبار موضوع طه حسين الى ضربين هما الأدب الإنشائي والأدب الوصفي ، فالإنشائي موضوعه انما يكون مقتبس من اللذات أو الطبيعة ببدعه الأديب إبداعا وينشئه إنشاء . وأما الوصفي انما يتخذ من الإنشائي موضوعا له فيعني بدراساته وتحليله ونقده . توفر طه على الأدب بنوعيه الإنشائي والوصفي ، يشتمل على أدبيه الإنشائي عدة انواع اهمها المقالة والقصة وأدب السيرة وأدب الرحلة ويشتمل الأدبي الوصفي تاريخ الأدب والنقد الأدبي.

النوع الأول للأدب الإنشائي المقالة، يعد طه حسين في طليعة الأدباء المعاصرين الذين عالجوا مثل هذا الفن الأدبي ، باهتمامه خاصا بنوعيه الذاتي والموضوعي ، وهذه المقالات نشرت قبل أن يضمها كتاب واحد في العديد من الصحف والمجلات كالثقافة و"الرسالة" و"السياسة" و"الجهاد" و"الكاتب المصري" ، وإن مقالاته لها ألوان مختلفة فيها:

أولها : مقالة تاريخية أدبية مثل "علي هامش السيرة" و"الفتنة الكبرى" و"علي وبنوه" وهذه الكتب يعد أشهر كتب التاريخ الأدبية ،

وثانيها : المقالات الاجتماعية السياسية يعالج الوقائع الاجتماعية كالبؤس أو الفقر أو الشقاء أو الإستغلال ونرى مثلا في مقالته بعنوان "خطر" التي تضمنتها في كتابه "المعذبون في الأرض".

وثالثها : المقالة الأدبية الثقافية ، يعرض الأديب الى مشكلة تمس الأدب والثقافة وذلك في مقالته بعنوان "الكنوز الضائعة" التي يضمها في كتابه القيم "خصام ونقد".

النوع الثاني للأدب الإنشائي القصة كتب طه حسين في جميع أنواع الأدبي القصصي قصة ورواية وأقصوصة وغيرها، يمثل في كتابه دعاء الكروان وشجرة البؤس قصة ورواية ويتضمن هذه المؤلفات أبعادا اجتماعية وخصائص فنية وأسلوبية ومعنوية مهمة. في الأقصوصة تناول طه هذا النوع من الأدبي القصصي نرى في أكثر من كتبه مثلا في كتابه "المعذبون في الأرض" و"خديجة"

النوع الثالث للأدب الإنشائي أدب السيرة الذاتية يكتب الكاتب قصة شخص ما فأن تحدث عن ذاته فأدبه أدب السيرة الذاتية . في عام 1929 ميلادية اخرج طه حسين الجزء الأول من ترجمته الذاتية "الأيام" . لأن هذا الكتاب برهانا لنبوغه وصور فيه حياته بالريف المصري وفي القاهرة والأزهر ثم في باريس وتجربته الذاتية والاجتماعية والإنسانية . الأيام اثبت أنه أديب متمكن وقصاص ممتع وكاتب السيرة من الطراز الأول وصراحة وأسلوب رائق وبلاغة سهلة ، هذا الكتاب أمتع ما كتب في أدبي السيرة حتى الآن .

كان الكتاب " الأيام طراز فريدا من السيرة التي تستجلى بها حياته في الماضي لتستقطر منها ما تقاوم به تحدثات الحاضر ، حاملة بالمستقبل الواعد الذي يخلو من عقبات الماضي وتحديات الحاضر على السواء، والعلاقة بين الماضي المستعاد في هذه السيرة الذاتية والحاضر الذي يحدد اتجاه فعل الاستعادة أشبه بالعلاقة بين الأصل والمرآة ، الأصل الذي هو حاضر متوتر يبحث عن توازنه بتذكر ماضيه ، فيستدعيه إلى وعي الكتابة كي يتطلع فيه كما تتطلع الذات إلى نفسها في مرآة ، باحثة عن لحظة من لحظات اكتمال المعرفة الذاتية التي تستعيد بها توازنها في الحاضر الذي أضر بها.

النوع الرابع للأدب الإنشائي أدب الرحلة ، كتب طه حسين في هذا النوع من الأدب كثير من المقالات ومن أهمها رحلة الصيف ورحلة الربيع مجموعان في كتاب واحد في اسم "رحلة الربيع والصيف" هذان أفضل كتاب في هذا الفن من الأدب .

أما النوع الأول في الأدب الوصفي فهو تاريخ الأدب ، يتضمن هذا النوع من الأدب تاريخ الأدب والنقد الأدب ، عالج طه حسين فيما كتب عن الأدب الجاهلي والشعر خاصة وتطوراته، وعني بوجودية الشعر والنثر واوليته إلى الوجود .

أما النوع الثاني في الأدب الوصفي فهو النقد الأدبي ، كان طه حسين أبرع وأبرز في عصره في هذا الفن ، والنقد الأدبي هو الأدب الذي يتناول فيه صاحبه أثرا أدبيا بالتحليل . ويشترط توافر عدة شروط في النقاد منها الذوق والثقافة والموهبة التاريخي والمعرفة بمذاهب الأدب والفنون . ومن أجمل النقد الأدبي الذي تمارس طه حسين نقده مقالا لمحمد حسين هيكل نشره في جريدة "السياسة" ويحمل عنوانا له هو " الشعر والنثر " بعد الثناء عليه مجملا ذهب طه إلى نقد عنيف عليه. ونقد طه أحمد شوقي ، كان شوقي ميالا إلى العثمانيين فمدح شوقي خالد الترك، فيمضى طه حسين في نقده الساخر لقصيدة شوقي ومجافاته لروح العصر وعدم ملائمتها لذوق العام ، وكذلك كثيرا من الأشعار يتخذ شوقي منهج القدماء في المدح والرثاء والفخر ولكن طه يجد هذا الأسلوب غير ملائم لهذا العصر .

ويظهر دائما بمظهر الناقد الساخط في نقد طه حسين لا يهم الا بأظهار السوءات والعورات في الأثر الأدبي .

قد خالفه العلماء والنقاد في حياته حتى بعد موته رأى أنور الجندي أن طه حاول أن يخلط الإسرائيليات والأساطير إلى السيرة النبوي بعد أن نقاها المفكرون الإسلاميون كما رد مصطفى صادق الرافعي على آرائه .

مؤلفاته :

- ❖ ذكرى أبي العلاء
- ❖ أحلام شهرزاد
- ❖ ألوان
- ❖ مع المتنبي
- ❖ رحلة الربيع
- ❖ في الصيف (مجموعة رسائل يصف فيها رحلته في البحر وأثرها فيه)
- ❖ الشيخان (أبو بكر وعمر)
- ❖ حديث الأربعاء (مجموعة مقالات النقدية)
- ❖ الأيام (سيرة الذاتية)
- ❖ دعاء الكروان (قصة فتاة ريفية)
- ❖ المعذبون في الأرض (مجموعة مقالات اجتماعية في صورة قصص ممتعة)
- ❖ على هامش السيرة (صورة عن الحياة الرسول صلى الله عليه وسلم)
- ❖ الفتنة الكبرى (صورة عن حياة عثمان)
- ❖ مرآة الإسلام (كلام عن العرب وعن دينهم قبل الإسلام وعن النبي صلعم وأهمية القرآن الكريم)
- ❖ شجرة البؤس (صورة عن الحياة المصرية في القرى والمدن)
- ❖ في الادب الجاهلي
- ❖ في الشعر الجاهلي
- ❖ من حديث الشعر والنثر
- ❖ رحلة الربيع والصيف

محي الدين ألواي (1925 - 1996)

MUHYUDHEEN ALWAY (1925 -1996)

مولده ونسبه :

ولد الدكتور محي الدين في أول يونيو عام 1925 م بقرية فالياتو نادو (Veliyathunadu) قريبا من مدينة الألوائي في ولاية كيرلا بجنوب الهند ويقال إن هذه القرية أول بقعة أشرفت بنور الإسلام في القارة الهندية على أيد التجار العرب، والده الشيخ مقار مولوي، وقد نشأ يتيما منذ باكرة سنه، وتعلم مبادئ العلوم من موطنه، ثم طلب العلم بفنان (Ponnani) الذي كان مقر العلوم الدينية في ديار كيرلا منذ مئات السنين، حتى صار شيخا خطيبا واعظا ومدرسا مشهورا. وكان وعظه وخطبه تجذب قلوب الآلاف من المستمعين، وكان لوعظه نفوذ كبير في المجتمع الإسلامي، وخضعت إدارته عدد من المساجد في مجلات المسلمين، وتوفي والده الشيخ مقار عام 1970 م .

وكان محي الدين اكبر أولاد أمه وكان له أخ وأختان من أمه، وكان له أخت أكبر منه من أم أخرى، وتوفيت إحدى أخواته في صغرها وكذلك توفيت والده وهو صغير.

نشأته ودراسته :

تلقى محي الدين الألوائي مبادئ العلوم الدينية واللغوية لدى والده، ثم واصل دراسته في المعاهد الإسلامية في موطنه ، ثم التحق بالكلية العربية دار العلوم بوازاكاد ، هي الكلية العربية الوحيدة بكيرلا المقررة من جامعة مدراس في تلك الأيام . وحينما أغلقت دار العلوم في بداية عام 1947 م لأسباب طارئة انتقل الطلاب والأساتذة إلى ترورنغادي ، فأسسوا هناك كلية عربية باسم مدينة العلوم ، ثم انتقل مقرها إلى مدينة بوليكال (Pulikkal). وكان الألوائي عضوا في اللجنة التأسيسية لهذه الكلية ، حتى خرج إلى مصر في أواخر سنة 1950 م.

وفي سنة 1947 م ذهب إلى فيلور بولاية تاميل نادو والتحق بكلية " الباقيات الصالحات " وحصل على شهادة " مولوي فاضل باقوي " (Moulavi Fadil Baqavi) كما نال شهادة "أفضل العلماء " من جامعة مدراس سنة 1949 م .

بعد عودته من فيلور حاملا شهادتين التحق بالكلية روضة العلوم بفاروق كمدرس ، حسب رغبة الشيخ أبي الصباح أحمد علي الأزهري، باني ومؤسس كلية روضة العلوم بفاروق . ولكنه لم يبق على هذا المنصب إلا بضعة أشهر ، وذلك أنه أثناء إقامته مع الشيخ ابي الصباح أحمد علي ، كان الألوائي قد تأثر بعلمه الغزيرة وخبراته الواسعة وملكة

مكالمته باللغة العربية الفصحى بأسلوب جذاب، حتى اشتاقت نفسه إلى الدراسة بالأزهر بمصر. فهذا أدى إلى رحلته إلى مصر سنة 1950 م .

وفي جامعة الأزهر الشريف التحق بكلية أصول الدين وحصل على شهادة العالمية (M.A) سنة 1953 م، مع الإجازة بقسم الوعظ والإرشاد من كلية أصول الدين. أثناء إقامته بمصر كان يقوم بنشاط علمي وأدبي وأحرز خبرة واسعة في مجال الخدمة الإسلامي والشؤون التربوية ، حتى صار رئيساً لمجلة " البعوث " التي كانت لسان حال الطلبة الأجانب بجامعة الأزهر ، ومنحته حكومة الهند منحة دراسية ، حيث قرر له مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف بحكومة الهند منحة دراسية من مجلس الهند للروابط الثقافية لمواصلة دراسته في الأزهر.

رجع من مصر حاملاً الشهادة العالمية من جامعة الأزهر سنة 1955م فما لبث أن عين في القسم العربي في منصب المترجم في إذاعة الهند الراديو (All India Radio) بنيودلهي في نفس السنة . انتهت هذه الفرصة لأن يتصل بجامعة " عليكره الإسلامية " وحصل على شهادة بكالوريا في الأدب الإنجليزي من هذه الجامعة الغراء . وفي عام 1962 م رحل إلى القاهرة مرة ثانية لإكمال تعليمية وبحوثه ونيل الدكتوراه من مصر .

وفي مصر بذل جهده في إكمال بحثه لشهادة الدكتوراه وعكف عليها فنال درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من قسم الدعوة بكلية أصول الدين عام 1971م. وكان موضوع رسالته " الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية " . وكان هذا أول رسالة علمية جامعة تقدم في هذا الموضوع باللغة العربية . ولا شك أن رسالته كانت إضافة علمية فاخرة إلى المكتبة العربية عن تاريخ الإسلام في الهند وعن مدى إسهام علماء الهند في خدمة العلوم العربية والثقافية الإسلامية .

خدماته في الميادين المختلفة :

واصل الدكتور الألواني جهوده في مجال تعلم اللغة العربية حتى نال شهادة "الفاضل الباقوي " من كلية الباقيات الصالحات وشهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس بجنوب الهند وشهادة " الماجستير " في الأدب الإنجليزي من جامعة عليكره الإسلامية وأخيراً حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة الأزهر المشهورة والجدير بالذكر انه قد اشتهر في هذه الفترة الدراسية كعالم ديني وفقهي ورع ولغوي ماهر بين معاصريه .

ذهب محي الدين آلواني للدراسات العليا إلى مصر في سنة 1950 م وفي مصر بنشاط علمي وأدبي واسع ونشرت مقالاته في الصحف والمجلات . واحتل منصب رئيس التحرير لمجلة البحوث لسان حال البعثات العلمية في القاهرة . وبعد رجوعه إلى الهند عين كمذيع في وحدة اللغة العربية في إذاعة عموم الهند بدلهي في سنة 1955 م بالإضافة إلى ذلك قام بأعمال أدبية وعلمية في مجلس الهند للروابط الثقافية وأكاديمية الهندية أثناء إقامته في دلهي.

وعندما رحل الدكتور آلواني مرة ثانية إلى مصر في عام 1963 م استمرت خدمات للغة العربية والعلوم الإسلامية مع تسجيله للدراسة العليا وفي سنة 1963 م عين مدرسا في كلية الطب بجامعة الأزهر لتدريس مادة الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، وعلقت مجلة "صوت الشرق" على توليه هذا المنصب. وفي السنة 1964 م انتخب الأستاذ آلواني عضوا في مكتبة بالجامعة ، ثم أختير كمحرر لمجلة "الأزهر" ونشر خلال هذه الفترة الشيخ آلواني قريبا من مائة مقالة وبحث . وفي عام 1965 م اختاره لتدريس مادة الدراسات الإسلامية بكلية البنات الإسلامية في القاهرة وكان عضوا منتدبا في المكتب الفني لمدير الجامعة الأزهر في الفترة من 1964 إلى 1967 م . وفي عام 1968 م انتدب الدكتور آلواني عضوا في لجنة الإمتحانات الإختبار مبعوثي الأزهر إلى غرب آسيا.

وفي سنة 1970 م عين رئيسا لتحرير مجلة "صوت الهند" ونشر مقالاته في صوت الهند مثل الثورة الصناعية في الهند و مكانة الهند في العالم الإسلامي و نظرة على تطور العلاقات الهندية والعربية منذ الإستقلال.

وفي اثناء هذه النشاطات الأدبية الجليلة حظى لتحقيق حمله بنيل الدكتوراه في اللغة العربية في سنة 1971 م مع مرتبة الشرف من قسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر لرسالته "الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية" . وكانت أول رسالة علمية جامعية تقدم في هذا الموضوع باللغة العربية .

في الجزيرة العرب:

رحل محي الدين آلواني من مركز خدماته من الأزهر الشريف إلى جزيرة العرب في سنة 1977 م ورحل إلى المملكة العربية السعودية ، وكانت هذه الرحلة بداية مميزة في حياته ، وكانت خطوته الأولى في الجزيرة العرب كأستاذ للدراسات الإسلامية وللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من 1977 إلى 1984 م. وعين الدكتور آلواني عضوا في هيئة التدريس في الجامعة نفسها ، وبقي خلال هذه الفترة منهما في

التصنيف والتأليف ، وما زال ينشر مقالاته في المجلات والجرائد المختلفة مثل جريدة "المدينة" ومجلة "الجامعة الإسلامية" .

ثم استمر الأستاذ الألوائي كمدرس وعالم وباحث ومؤلف ورئيس تحرير مجلات وجرائد في مصر والمملكة العربية السعودية والهند ، وفي سنة 1984 م تولى منصب رئيس مستشار الشؤون الدينية بجريدة " الخليج اليوم".

استعمل الدكتور الألوائي قلمه وجهده لنفع عامة الناس بما عبر عن تقاليدهم وثقافتهم وحاول الإبعاد مشاكلهم في طريق تحصيل العلم كما قام بإعداد الصحف الدينية الأدبية ونشرها. وتظهر رغبته في الخدمة والإرشاد والأدب والعلم بنشر البحوث في المجلات والصحف.

خدماته في ولاية كيرالا :

و بعد أن قضى سنين شبابه في خارج الهند في البلاد المختلفة في وظائف متنوعة وخدمات طويلة عظيمة في مجال التربية والتعليم والصحافة وتنشيط اللغة العربية وآدابها وتطوير العلوم الإسلامية في مصر وبلدان الخليج العربي قرر الدكتور ألوائي بالعودة إلى الهند في سنة 1988 م .وفي هذه المرة كان يرجو أن تكون هذه العودة عودة نهائية يعيش بعدها بين أعضاء أسرته وقبيلته وأهل بلده. ورغبة المجتمع الكيرالي واتصاله بالمجتمع ومعاملته معهم بعد الرجوع كانت تحرضه أن يكون اتصاله بهم أكثر مما كان وكانهم يرجون الاستفادة من أعماق علومه وكنوز تجاربه في المجالات المتنوعة . واتخذ كيرالا مقر لنشاطاته المستهدفة إلى نهضة تعليمية وصحوة إسلامية . ومن أهم اول نشاطاته في هذه الفترة التي تولته مجيبا لدعوة المجتمع الإسلامي مشاركته في ترجمة تفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب إلى اللغة المليبارية في اثني عشر جزءا. اشتغل بعد رجوعه مديرا لمركز البحوث الإسلامية وتدريب المعلمين وتولى منصب عميد "كلية الدعوة وأصول الدين " بمدينة كالكوت .

أسست الكلية أزهر العلوم في قرية قريبا من ألوائي منطقة أرنكولم في سنة 1991 م . وتعد هذه المؤسسة من أفضل مساهمات الدكتور ألوائي لمسقط رأسه والمسلمين فيها خاصة للدعوة الإسلامية ونشر اللغة العربية في وجه عام . واصبح حلم الدكتور الألوائي ملموسا بمساعدة مجموعة من قادة الفكر الإسلامي والأعيان من العالمين في الولاية .

جائزة الدكتور محي الدين الألوائي للغة العربية :

ومما يدل على عنايته باللغة العربية وتطورها في ولاية كيرلا، إن الشيخ الألوائي قام بتخصيص جائزة باسمه تشجيعاً لطلاب اللغة العربية في كل عام منذ سنة 1985 م ، وكانت كلية روضة العلوم بفاروق هي المعهد الذي إختاره لتوزيع هذه الجائزة لطلاب المتفوقين في امتحان ماجستير (أفضل العلماء) للدراسات العليا في الأدب الحديث واللغة العربية والعلوم الإسلامية .

ومن أعماله المهمة في ولاية كيرلا رئاسته لتحرير مجلة "الميزان " في سنة 1991 م. ومع ذلك استمرت مساهمته الأدبية والدينية في مختلف المجالات والصحف من اللغات الإنجليزية العربية والمليبارية التي تصدر من كيرلا ومن خارجها.

وكان الدكتور الألوائي عضواً أو رئيساً لعدد من الجمعيات واللجان منها الأمانة الخيرية بإدابلي (Edappally) بمديرية أرنالكلم . واستمر في رئاستها حتى توفي. وكان عضواً نشيطاً لجمعية المسلمين بمديرية أرنالكلم بدولة قطر ، ما كانت حياته المزدوجة بإشغال متمتعة بالإسترخاء حتى آخر اللحظة واشتغل دائماً بالتحرير في المجالات الدينية والاجتماعية والتعليمية والأدبية وغيرها . يقول ابنه جمال محي الدين عن حياة أبيه " لقد كانت حياة محي الدين الألوائي مخصصة لخدمة الدعوة الإسلامية واللغة العربية ومحاولة جادة لتوثيق الروابط بين العالم العربي والهند .

وفاته :

بعد أن رجع إلى البلد واستقر في بلدته كان أيضاً مشغولاً بوظائف متنوعة علمية وأدبية واجتماعية وإسلامية . وكان من المفاجأة أن أصيب بمرض صدمة قلبية توفي بسببه هذا الأديب المفكر الإسلامي ، الدكتور محي الدين لتاريخ 23 يوليو عام 1996 م. ودفن في فناء المسجد الجامع في قريته فالياتونادو. واشترك في صلاة الجنازة آلاف من المسلمين الحاضرين والواردين ، ولم تشهد هذه القرية مثل هذا التجمع من قبل. وانتقل الدكتور إلى رحمة الله وعمره يناهز 71 عاماً بعد حياة حافلة من النشاطات العلمية والفكرية.

مؤلفاته :

ولما توفي الدكتور محي الدين ألوائي ترك وراءه آثاراً كثيرة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية . قد قضى الدكتور ألوائي معظم أوقاته للتعليم في الجامعات المختلفة التأليف المقالات في موضوعات متنوعة ومجلات مختلفة . وبقي منهمكا في حياته كلها في اللغة العربية والعلوم الإسلامية حتى حين وفاته . الدكتور الألوائي بذل جهداً كبيراً لنشر العلوم الإسلامية والموضوعات الأدبية والاجتماعية وغيرها . واعتنى الدكتور الألوائي

بتقديم هذه الدراسات الأجيال الناشئين في الحاضر والمستقبل . ألف سبعة عشر كتابا في اللغة العربية وخمسة كتب في اللغة الإنجليزية وثلاث كتب في لغة مليالم وكتبا واحدا في اللغة الأردوية . ولكن ألف بعض الكتب في اللغتين في نفس الوقت كما ألف كتابا "العالم العربي" في اللغة الأردوية واللغة المليالمية ، ويرى فيها بعض ترجمات الكتب أيضا مثل "شمين" و "كتاب الهند للبيروني" .

ومعظم كتبه تتناول موضوعات الدعوة الإسلامية والعلوم الدينية مثل "منهاج الدعاة" و "أعلام الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية" ، هذا الكتاب من أحسن مؤلفاته وكان موضوع الرسالة الدكتوراه في جامعة الأزهر ، قسم هذا الكتاب إلى أربعة أبواب وفي الباب الأول تناول العرب والهنود قبل الإسلام وفي الباب الثاني عالج ظهر الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب ووصولها إلى شبه القارة الهندية وفي الباب الثالث ناقش تطور الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية وفي الباب الرابع بحث مساهمة الهند في نهضة العلوم الإسلامية والعربية. ويتحدث الكاتب في خاتمة الكتاب عن الدعوة الإسلامية في الهند في الحال ومستقبل الدعوة الإسلامية فيها. وكتب عدة مقالات في مواضع مختلفة مثل الحضارة الهندية وثقافتها وتعليماتها في المجالات مختلفة.

ومن كتبه "الإسلام وقضايا الإنسانية" يتناول هذا الكتاب بوضوح التعليم في الدولة الإسلامية والإنسانية فيها ، وإن كان هذا الكتاب صغيرا يحتوي على معلومات كثيرة مع مقارنة بين الحكومة الإسلامية والدول المستعمرة المعاصرة.

ومن كتبه "النبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين" يظهر الدكتور الألواني في هذا الكتاب طرفا من اعتراضات المستشرقين والمبشرين على الإسلام عامة والنبوة خاصة. والجدير بالذكر أن الكاتب الإسلامي الشهير الشيخ محمد عبد الله السمان المسئول المشرف على السلسلة الثقافية الإسلامية يقول في مقدمة لهذا الكتاب. "إن المراقبة العامة للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر قد احوالت عام 1954م هذا الكتاب إلى الدكتور الألواني لكتابة تقرير عنه قد وفقت المراقبة في احواله هذا الكتاب الدكتور الألواني لتمكنه من اللغة الإنجليزية ومن الثقافة الإسلامية ، وهو من مسلمي الهند ولكنه درس في الأزهر وحصل على الدكتوراه من جامعته بالإضافة إلى ذلك اهتمامه البالغ بمسار الفكر الإسلامي المعاصر والحركات الإسلامية الحديثة وهذا الإهتمام نابع من العقيدة السلفية وفكر إسلامي أصيل".

ومن كتبه "الأدب الهندي المعاصر" يعتبر هذا من أهم كتب الدكتور محي الدين الألواني ، ويشرح فيه المعلومات الواسعة والمختلفة عن الآداب من اللغات المتعددة في شبه القارة الهندية ، تتضمن هذه دراسة شاملة عن الآداب المعاصرة في أربع عشرة لغة التي

نص عليها الدستور الهند آنذاك. ألف هذا في سنة 1986 م حين كان المؤلف مدرسا في جامعة الأزهر بالقاهرة .

ومن كتبه " منهاج الدعات بالإختصار " يتناول معظم مؤلفات الدكتور الألوائي موضوع الدعوة الإسلامية واعتنى الكاتب في هذا الكتاب جدا بأهمية الدعوة الإسلامية وأخلاق دعاة الدين، ألف هذا الكتاب في سنة 1985 م. قسم هذا الكتاب إلى أربعة أبواب: الباب الأول : ضرورة الدعوة إلى الله، الباب الثاني : دعوة إلى الله على كل مسلم ومسلمة ، الباب الثالث: المنهج المحمدي لتبليغ الدعوة ، الباب الرابع: أركان الدعوة الإسلامية .

ومن كتبه " قواعد العربية المبسطة " يتضمن هذا الكتاب مقدمة وعشرين فصلا ويبحث الكاتب الدكتور الألوائي فيه عن قواعد اللغة العربية وتدرجات اللغة وأنواعها المختلفة. ويحاول الكاتب فيه أن يسهل أحكام النحو في اللغة العربية بأسلوب جذاب ووسائل واضحة واعتنى الكاتب ببيان جميع أبواب النحو واستعمالها وقواعدها.

ومن كتبه منهاج المعلمين لتعليم اللغة العربية لغير العرب " يضع الكاتب منهج خاص لتدريب المعلمين الذين يعلمون في ميدان تدريس اللغة العربية لغير العرب. قسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول يتكلم عن أهمية اللغة العربية ومكانتها ومميزاتها خاصة في الضوء القرآن والعلوم الإسلامية وفي القسم الثاني يبين ضرورة إلى الخطة الخاصة ومنهج التعليم لتدريس اللغة العربية للعجم مثل الطريق المباشر وأسلوب تدريبات اللغة ومنهج الكتابة والقراءة ، والقسم الأخير يبحث عن نماذج تدريس قواعد اللغة العربية . يفسر فيه أسلوب التدريبات اللغوية والطريقة الكتابة والقراءة مع أمثلة كثيرة يؤكد فيه الكاتب أن النحو العربي يساعد الطالب لتعليم اللغة العربية والتحدث بها بدون خطأ ، لا شك في أن أهمية هذا الكتاب في مجال تعليم اللغة العربية عظيمة ويعتبر هذا أول الكتاب الذي صدر في هذا الموضوع.

ومؤلفاته في اللغات غير العربية :

1 عرب لوكم في اللغة مليالم : ألف هذا الكتاب في لغة مليالم معناه "عالم العرب". ويوجد أيضا هذا الكتاب في اللغة الأردنية باسم "عرب دنيا" ، ويتضمن هذان الكتابان تاريخا شاملا للدول العربية آنذاك. يوضح الكتاب توضيحا في أسلوب جذاب عن ثمانية عشر بلدا عربيا . وبهذا الكتاب يعطي لنا الكاتب معلومات كثيرة عن هذه الدول مثلا حياة الناس فيها وعاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم وتعاليمهم زراعاتهم وغيرها . وقد اعتنى الكاتب بتبيين حدودها الجغرافية وعدد السكان والتواريخ السياسية والأحوال الاقتصادية .

وأيضاً يحتوى على دراسات عن الدول العربية المختلفة والمتنوعة في الثقافة والحضارة مثل مراكش وجزائر وتونس والسودان ومصر وليبيا ولبنان وسوريا والاردن والفلسطين والمملكة العربية السعودية واليمن والكويت والبحرين وقطر وغيرها.

2 أصول الإسلام في اللغة الإنجليزية باسم *The Principles of Islam* . ويوجد هذا الكتاب في لغة مليالم أيضاً ، يبحث فيه عن عقائد الإسلام الأساسية وأركانه. يحتوى الكتاب على بحث عن الحياة الشخصية والحياة الإجتماعية والعلاقات الدولية والنظام الإقتصادي ونظام الزكاة والصدقات والحدود في الإسلام ، والجدير بالذكر أن هذا الكتاب في الإنجليزية أدخلته الجامعة الأزهر في المنهج الدراسي له.

3 كتاب الهند للبيروني : هذا كتاب ترجمة المؤلف من اللغة العربية إلى اللغة المليالمية ألف هذا المؤرخ المشهور محمد بن أحمد البيروني (973 – 1050 ميلادية). يتناول هذا الكتاب تاريخ الهند القديم عامة وتاريخ القرن الحادي عشر خاصة . ويشرح الكاتب موضوعات الموسوعة مثلاً عقائد أهل الهند ونشأة الأديان المختلفة ونشاطاتها والكتب الإلاهية والدينية وكتب القصص القديمة والكتب في العلوم الأخرى وأساطيرها وأنهارها ومنابعها وفيضاناتها وغيرها.

4 شميين : هذه روايات مشهورة في لغة مليالم ، وترجم الدكتور الألوائي هذا الكتاب إلى اللغة العربية . إن رواية "شميين " إحدى الروايات المشهورة في الأدب الهندي الحديث. ألف هذه القصة المشهورة تكازي شيوا سانكرا بلا (1914 -1999 ميلادية) . قد منح الجائزة الأكاديمية الأدبية الهندية في عام 1967م على هذه الرواية . وقد نشرت ترجمتها إلى ست عشرة لغة أخرى فضلاً عن اللغة العربية والإنجليزية . قد ترجمت هذه الرواية على اللغة الإنجليزية بمساعدة مالية من قبل اليونسكو.